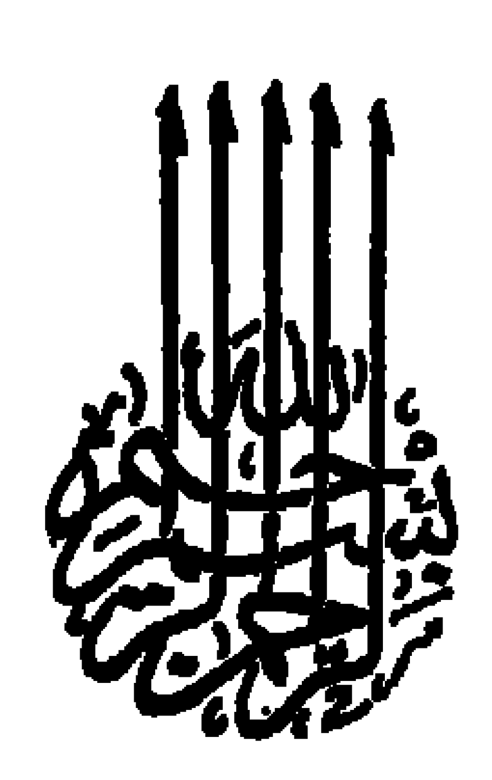
محمد بن علي الهرفي

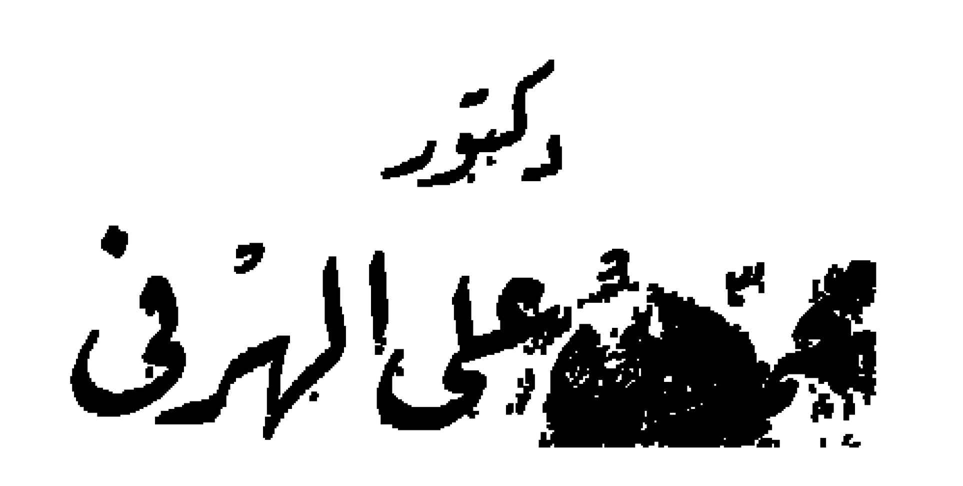
أثر القرآن الكريم والحديث
في شعر أبي العتاهية



السعودية - الدمام


أثر القرآن الكريم والحديث
في شعر أبي العتاهية




دكتور
محمد علي الهرفي


أثر القرآن الكريم والحديث
في شعر أبي العتاهية


دار الإصلاح
للطبع والنشر والتوزيع
السعودية - الدمام

المقدمة

عندما يتحدث المؤرخون القدامى عن أبي العتاهية يشيرون إلى ما اتهم به من زندقة ، وإلحاد ، ومروق عن الدين ، ويذكرون كذلك أنه كان يستقى شعره من مصادر أجنبية ، يراها بعضهم مسيحية حيناً ، وبوذية حيناً آخر . وقد نسبه آخرون إلى الثنوية أو الروافض .

وقد حفزنى ذلك إلى مراجعة ديوانه ، ومحاولة تلمس حقيقة إيمان أبى العتاهية ، ومدى تغلغل الإسلام فى فكره ، ووجوده ، خاصة بعد أن رأيت بعض الباحثين المحدثين يجعلونه أبا الشعر الدينى ، وينفون عنه كل التهم التى أثارت الغبار حول عقيدته .

وقد جعلت دراستى هذه تقع فى خمسة فصول : تحدثت فى الفصل الأول عن حياة الشاعر ، وأوردت أقوال القدامى والمحدثين عن حقيقة زهده . وبينت أن زهده كان زهداً حقيقياً ، وليس كما يشكك البعض فى حقيقة هذا الزهد ، وأوضحت فى هذا الفصل كذلك أن أبا العتاهية كان من كبار شعراء عصره بشهادة معاصريه من الكتاب والشعراء .

وتحدثت فى الفصل الثانى عن حركة الزهد فى القرن الثانى ، وهو القرن الذى عاش فيه الشاعر ، وبينت أن زهاد هذا القرن اقتبسوا هذا الزهد من القرآن الكريم ، ومن زهد النبى وصحابته الكرام ، ومن تابعيهم .

وفى الفصل الثالث تحدثت عن اتهامات الأقدمين والمحدثين لأبى العتاهية بالزندقة ، وفندت هذه الاتهامات ، وبينت بطلانها بأدلة من ديوانه ، ومن أقوال المنصفين من معاصريه ، وغيرهم .

وتحدثت فى الفصل الرابع عن أثر القرآن الكريم فى شعر أبى العتاهية فاستخرجت من ديوانه كل الأبيات التى ضمنها آيات من القرآن ، وقسمتها إلى موضوعات مختلفة ، وأعدت كل آية منها إلى مكانها فى القرآن الكريم .

وشابه الفصل الخامس سابقه حيث استخرجت كذلك — بعد دراسة وافية لكل أبيات الديوان — الأحاديث النبوية الشريفة التى وردت [illegible] أبياته ، وقسمتها إلى موضوعات مختلفة بحسبها ، وأوضحت هذه [illegible] بنصها كما وردت فى كتب الحديث المختلفة .

وقد أخذت منى هذه الدراسة جهداً أرجو أن يثيبنى الله عليه ، كما أرجو أن ينتفع منها القارىء الكريم ، والله من وراء القصد .

المؤلف

الفصل الأول

أبو العتاهية - حياته وشعره

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان من موالى عنزه وأمه أم زيد بنت زياد المحاربى مولى بنى زهرة(١) ، وأبو العتاهية لقب غلب عليه لاضطراب كان فيه ، أو لكونه كان ماجناً فى بداية حياته ، عاتياً فى مجونه ، فكنى بأبى العتاهية(٢) .

ولد سنة (١٣٠ هـ — ٧٤٨ م) فى عين التمر ، بالقرب من الكوفة .

كان أبوه يشتغل فى الحجامة ، ولم يكن أبو العتاهية يعيب هذا العمل إذا كان صاحبه تقياً ورعاً ، ولذا نراه يقول :

أَلَا إِنَّمَــا التَّقْوَى هو العِزُّ وَالْكَرَمْ
وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَــا هُوَ الذُّلُّ والعَــدَمْ
وَلَيْسَ على عَبْــدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَــةٌ
إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمْ(٣)

نشأ أبو العتاهية فى الكوفة ، وكان يصنع الجرار ويبيعها فى أسواق الكوفة ، وتدل الروايات التاريخية على أنه نشأ فقيراً معدماً ، مما اضطره للعمل ، والبحث عن لقمة العيش منذ نعومة أظفاره . ولم يحل فقره دون

---

(١) انظر ترجمته فى : الأغانى ٣ /١٢٦ ، وفيات الأعيان ١ /٢١٩ ، الشعر والشعراء ٢ /٧٩١ ، الوافى بالوفيات ج ٦ القسم التاسع ص ١٨٥ ، شذرات الذهب ٢ /٢٥ ، تاريخ بغداد ٦ /٢٥٠ ، الفهرست : ١٨١ ، طبقات الشعراء : ٢٢٧ ، تاريخ الأدب العربى : ٣٤ ، معجم المؤلفين ٢ /٢٨٩ ، الأعلام ١ /٣١٩ .

(٢) تاريخ بغداد : ٦ /٢٥٠ .

(٣) الديوان : ٣٤٨ .

استفادته من حلقات العلم المختلفة التى كانت تغص بها مساجد الكوفة حينذاك ، وقد كان أبو العتاهية لا يترك فرصة إلا ويحاول الاستفادة منها فى تنمية مداركه العلمية ، روى صاحب الأغانى أن أبا العتاهية وهو صغير وكان على ظهره قفص فيه فخار يبيع منه لفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال : يا فتيان أراكم تذاكرون الشعر ، أفأقول شيئاً منه فتجيزونه فإن فعلتم فلكم عشرة دراهم وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ، فهزأوا منه ، وسخروا به ، وقالوا : نعم . قال : لابد أن يشترى بأحد القمرين رطب يؤكل فإنه قمر حاصل ، وجعل رهنه تحت يد أحدهم ففعلوا ، فقال : أجيزوا : « ساكنى الأجداث أنتم » وجعل بينه وبينهم وقتاً فى ذلك الموضع إذا بلغته الشمس ولم يجيزوا البيت غرموا ، وجعل يهزأ بهم ، ولما لم يستطيعوا إجازة البيت أجازه بقوله :

سَاكِنِى الأَجْدَاثِ أَنْتُمْ ... مِثْلَنَا بالأَمْسِ كُنْتُمْ
لَيْتَ شِعْرِى مَا صَنَعْتُمْ ... أَرَبِحْتُمْ أَمْ خَسِرْتُمْ(١)

ولما تنسك أبو العتاهية قعد للحجامة ، وكان يحجم الفقراء واليتامى ويقول : « أردت أن أضع من نفسى حسبا رفعتنى الدنيا وأضع منها ليسقط عنها الكبر ، وأكتسب بما فعلته الثواب »(٢).

وبعد فترة من الزمن دعاه إلى بغداد صديقه إبراهيم الموصلى ، الذى كان قد اشتهر أمره فى خلافة المهدى ، فأسرع أبو العتاهية بالسفر ، واستطاع بوساطة هذا الصديق ، أن يدخل على المهدى ، ويمدحه ، فقربه المهدى ، وذاع صيته بعد ذلك ، واشتهر أمره ، وأصبح له مكانة كبيرة عند الخلفاء العباسيين(٣) .

---

(١) الأغانى : ٤ / ٤٧

(٢) المصدر السابق : ٤ / ٧ .

(٣) العصر العباسى الأول : ٢٣٧ .

زهده :

[...]كر المؤرخون أن أبا العتاهية مال إلى الزهد فى آخر حياته ، وابتعد عن اللهو والمجون ، وترك شعر الغزل الذى كان يقوله فى شبابه(١). ويجعل شوقى ضيف هذا التحول فى خلافة الرشيد فيقول : « وفى خلافة الرشيد سنة ١٨٠ هـ نرى الشاعر يتحول من حياة المجون إلى حياة الزهد والتقشف ، ويبدأ فى قول شعر الزهد ، وذكر الموت والثواب والعقاب ، والدعوة إلى مكارم الأخلاق »(٢) .

ويذكر صاحب الأغانى أن الرشيد عاقب أبا العتاهية عندما ترك الغزل فقال : « حدثنى عمرو قال : حدثنى على بن أحمد الهشامى عن جده عن ابن حمدون قال : أخبرنى مخارق قال : لما تنسك أبو العتاهية ولبس الصوف أمره الرشيد أن يقول شعراً فى الغزل فامتنع ، فضربه الرشيد ستين عصا ، وحلف أن لا يخرج من حبسه حتى يقول شعراً فى الغزل ، فلما رفعت المقارع عنه قال أبو العتاهية : « كل مملوك له حر ، وامرأته طالق إن تكلم سنة إلا بالقرآن ، وبلا إله إلا الله محمد رسول الله »(٣) .

ويعلق زكى مبارك على هذه الروايات فيقول : « وليس من المستحيل أن يقع ذلك من الرشيد، ولكنه سخف لا يبعد أن يكون من وضع الملفقين »(٤) ونحن مع زكى مبارك فيما ذهب إليه من أن هارون الرشيد لا يمكن أن يصدر منه هذا الفعل بحق أبى العتاهية لما اشتهر عن الرشيد من قوة الإيمان ، وأنه كان يحج سنة ويغزو أخرى ، فمثل هذا الإنسان لا يمكن أن يؤذى رجلا لتمسكه بالإسلام .

وبسبب زهده ، وامتناعه عن مخالطة أصحاب المجون والمنحرفين ، حسده بعض معاصريه ، وتقولوا عليه ، ورموه بالزندقة ، والانحراف

(١) الأغانى : ٦٣/٤ .
(٢) العصر العباسى الأول : ٢٣٧ .
(٣) الأغانى : ٢٩/٤ ، ٣٠
(٤) التصوف الإسلامى : ٨٠ .

عن جادة الصواب . وقد أشار ابن عبد البر صانع ديوانه إلى هذه النقطة فقال : « وكان بعض من مال به هواه إلى المجون ، وغلب عليه في ذلك الجنون ، بمقت أبا العتاهية ، ويحسده ، ويغتابه لانصرافه عن الشعراء المستخفين ، إذ بان له من ضلالهم ، ما زهده فى أفعالهم ، فمال عنهم ، ورفض مذاهبهم ، وأخذ فى غير طريقهم ، وتاب توبة صادقة ، وسلك طريقة حميدة ، فزهد فى الدنيا ، ومال إلى الطريقة المثلى ، وداخل العلماء والصالحين ، ونور الله تعالى قلبه ، فشغله بالفكرة فى الموت وما بعده »(١).

ويؤكد زكى مبارك هذه الفكرة التى أشار إليها ابن عبد البر فيقول : « والواقع أن المرء يحسد على السمعة الطيبة أكثر مما يحسد على الثراء العريض ، ولا سيما فى عالم المنازعات الأدبية ، وأكثر الرواة والشعراء لعهد أبى العتاهية كانت سمعتهم مما تلغط به الجماهير ، وكانت لهم أندية يكثر فيها اللغو ، وتقع فيها الآثام حول موائد الشراب ، وكان من العزيز عليهم أن يطير عنهم أبو العتاهية فيحلق فى سماء الفضيلة ، ويثير شعره دموع بعض الخلفاء »(٢)

ومما يدل على زهد أبى العتاهية أرجوزته الشهيرة التى ذكر صاحب الأغانى أنها تقع فى أربعة آلاف بيت ، وكلها حكم وأمثال كقوله فيها :

حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ القُوتُ ... مَا أَكْثَرَ القوتَ لِمَنْ يَمُوتُ

الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الكَفَافَا ... مَن اتَّقَى اللهَ رَجَا وَخَافَا

مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيبُ ... إِلَّا لأَمْرٍ شَأْنُهُ عَجِيبُ

مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَذَى ... مَمْزُوجَةَ الصَّفْوِ بِأَلْوَانِ القَذَى

وتؤكد هذه الأرجوزة حقيقة زهد شاعرنا ، وأنه زهد نابع من القلب وإلا فإن المتصنع لا يمكن أن يبدع كل هذا الإبداع ، « وهذه الأرجوزة التى يقال : إن له فيها أربعة آلاف مثل ، لا يمكن أن تصدر إلا عن رجل مشغول بالأخلاق ، وابتداع الحكم والأمثال لابد له من صفاء ، والصفاء

---

(١) مقدمة الديوان : ٣٧ .

(٢) التصوف الإسلامى : ٨٣ .

ليس من حظ النفوس المقتولة بالشواغل الدنيوية »، فلا مفر من الاعتراف بأن أبا العتاهية استطاع أن يخلص من دنياه بعض الخلاص ليفرغ لنظم أشباه ال[illegible]ال »(١) .

ويؤكد الخطيب البغدادى أن شعر أبي العتاهية فى الزهد فاق أشعار سابقيه ، وأنه أجاد فى هذا الفن إجادة كبيرة يقول : « وكان يقول فى الغزل والمديح ثم تنسك ، وعدل عن ذلك إلى الشعر فى الزهد ، وطريقة الوعظ فأحسن القول فيه ، وجود وأربى على كل من ذهب ذلك المذهب »(٢) .

ويرى د. محمد مصطفى هداره أن زهد أبي العتاهية راجع إلى كونه مارس حياة اللهو والمجون فى بداية حياته ، فعرف زيفها وبطلانها ، فعافت نفسه هذا النوع من الحياة ، كما أن طبيعة الإيمان كانت مغروسة فى قرارة نفسه ، فعاد الرجل إلى طبيعته مؤمناً قوياً يقول : « ويبدو أن انغماس أبي العتاهية فى الإثم ، بعد أن عاش فترة من حياته فى لهو ومجون وعبث ، قد جعل نفسه تعاف هذا النوع من الحياة ، تماماً كما حدث فى نفس رابعة العدوية ، ولا شك فى أن عناصر الإيمان وتقوى الله لا بد أنها كانت موجودة بصورة قوية فى نفس كل منهما ، بل فى نفس كل زاهد تحيط به المؤثرات العنيفة ، والعوامل القوية ، فتجعله ينحرف إلى المجون واللهو ، ولكنها تكون بمثابة غشاء رقيق يستر الإيمان العميق ، ولا يذهب به ، أو هى كالضباب ، تغشيه ، ولا تمحوه ، حتى إذا حانت لحظة الصحو – وتكون فى الغالب إثر حادثة معينة ربما كانت تافهة إلى حد بعيد – ينقشع هذا الضباب ، ويزول الغشاء ، وتبدو عناصر الإيمان راسخة قوية ، قد زادتها تجارب الحياة رسوخاً وقوة ، وعمقتها أحداث الزمان ، فصارت تتسع لنفس صاحبها بحيث يصبح جزءاً منها ، بعد أن كانت جزءاً منه »(٣) . أما محمد خلف الله فيرجع زهد أبي العتاهية إلى سببين : أحدهما : إحساسه بضعة أصله ، وهذا الإحساس جعله يركز على التقوى وأنها هى أساس العزة ، وأن النسب لا قيمة له أمام

---

(١) التصوف الإسلامى : ٨٢ .

(٢) تاريخ بغداد : ٦ / ٢٥١ .

(٣) اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى : ٣١٣ .

طاعة الله ، وأن على الإنسان أن يفخر بتقاه وزهده . وقد أشار أبو العتاهية مراراً إلى هذا المعنى وأكد عليه فقال :

دَعْنِيَ مِنْ ذِكْرِ أَبٍ وَجَدْ
وَنَسَبٍ يُعْلِيكَ سُورَ الْمَجْدِ
ما الفَخْرُ إِلَّا فِي التُّقَى وَالزُّهْدِ
وطاعةٍ تُعْطِي جِنَانَ الْخُلْدِ
لَا بُدَّ مِنْ وِرْدٍ لِأَهْلِ الْوِرْدِ
إِمَّا إِلَى ضَحْلٍ وَإِمَّا عِدٌّ(١)

أما السبب الثاني في رأى محمد خلف الله فهو حبه لعتبة جارية المهدى ، وكان حباً بلا أمل ، فأضاف إليه هذا الحب حرماناً إلى حرمان فزاد تنسكه ، وقوى زهده (٢) .

ونحن نذهب مذهب د. محمد هداره في أن العاملين اللذين ذكرهما محمد خلف الله لم يكونا الوحيدين في زهد شاعرنا أبي العتاهية ، وإن كان لهما أثر في هذا الزهد(٣) .

إنه مما لا شك فيه أن أبا العتاهية كان لديه الاستعداد الفطرى للزهد ، وأن هداية الله له ، وتوفيقه ، كانت أكبر من كل تلك المؤثرات التي تبدو للدارس حياته من أول وهلة . ولا يعني هذا أننا نستبعد حدوث أسباب معينة تكون ذات تأثير على اتجاهه الإيماني ، وزهده في مباهج الحياة ، وابتعاده عن الملذات ، ودعوته غيره من الناس إلى الزهد في الدنيا والاتجاه إلى الآخرة .

وبالإضافة إلى الأسباب التي ذكرها محمد خلف الله ذكر د. محمد مصطفى

---

(١) الديوان : ١٠٢ والعد : الكثرة .
(٢) دراسات في الأدب الإسلامي : ٥٨ وما بعدها .
(٣) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجرى : ٣١٤ وما بعدها .

مداره أسباباً أخرى منها : أن أبا العتاهية تأثر بثقافات عصره ، وبحركة الزهد [illegible]ته ، وكذلك تأثر بحركة الوعاظ والقصاص التي كانت سائدة في [illegible] الثاني (١) .

وقد لاحظ الأقدمون تأثر أبي العتاهية بزهاد عصره ، واقتباسه من أقوالهم ، وصياغة تلك الأقوال شعراً . فقالوا : إن أبا العتاهية أخذ قوله :

تَزِيدُهُ الأَيَّامُ إِنْ أَقْبَلَتْ ... شِدَّةَ خَوْفٍ لِتَصَارِيفِهَا
كَأَنَّهَا فِي حَالِ إِسْعَافِهَا ... تُسْمِعُهُ أَوْقَاتَ تَخْوِيفِهَا

من الحسن البصري عندما قيل له : كيف ترى الدنيا ؟ . فقال : شغلني توقع بلائها عن الفرح برخائها (٢) .

ومن أقوال الحسن البصري التي أخذها أبو العتاهية قول الحسن : « يا ابن آدم أنت أسير الدنيا رضيت من لذاتها بما ينقضي ، ومن نعيمها بما يمضي ، ومن ملكها بما ينفد ، فلا تجمع الأوزار لنفسك ، ولأهلك الأموال ، فإذا مت حملت الأوزار إلى قبرك ، وتركت أموالك لأهلك » أخذه أبو العتاهية فقال :

أَبْقَيْتَ مَالَكَ مِيرَاثاً لِوَارِثِهِ
فَلَيْتَ شِعْرِيَ مَا أَبْقَى لَكَ المَالُ
القَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسُرُّهُمُ
فَكَيْفَ بَعْدَهُمُ دَارَتْ بِكَ الحَالُ
مَلُّوا البُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ
وَاسْتَحْكَمَ القِيلُ فِي المِيرَاثِ وَالقَالُ (٣)

---

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري : ٢١٥ .
(٢) هامش الديوان : ٢٤٤ .
(٣) الديوان : ٢١٠ .

وقد أخذ أبو العتاهية كذلك قول وهب بن منبه : المال يفنى والبدن يبلى ، والذنوب لا تنسى ، والديان حي لا يموت . فقال :

نَمُــوتُ وَنُنْسَى غَيْرَ أَنَّ ذُنُوبَنَــا
وَإِنْ نَحْنُ مِتْنَــا لَا تَمُوتُ وَلَا تُنْسَى

أَلَا رُبَّ ذِي عَيْنَيْنِ لَا تَنْفَعَــانِهِ
وَهَلْ تَنْفَعُ الْعَيْنَانِ مَنْ قَلْبُه أَعْمَى(١)

أما كارل بروكلمان فعندما تحدث عن أبي العتاهية أشار إلى أنه تأثر بوعاظ النصارى ، واستدل على قوله هذا بأن أبا العتاهية يفتتح أبياته كثيراً بلفظ « أين » فقال : « وهو يولع كثيراً بافتتاح أبياته بلفظ أين ، ولعل ذلك راجع إلى تأثير وعاظ النصارى ، كما أنه لم يكن من قبيل المصادفة أن تذكرنا المعاني الشعرية في ديوانه بنظرات الشاعر السرياني يعقوب السروجي ، وربما كان كلاهما أخذ هذا المذهب من الوعاظ ، وقد بين الأستاذ رشر في ترجمته الألمانية لديوان أبي العتاهية ما في زهدياته من المعاني والأفكار النصرانية »(٢) .

والواقع أن ما ذكره بروكلمان عار من الصحة ، فأبو العتاهية في زهدياته كان متأثراً بالقرآن الكريم ، وبالحديث النبوي الشريف ، وسنتعرض لهذا بالتفصيل في الفصول القادمة إن شاء الله . أما قضية تأثره بالوعاظ النصارى التي يذكرها بروكلمان وربما غيره من المستشرقين ، فالهدف منها محاولة ربط المعاني الروحية في الإسلام بالديانة المسيحية . وقد أشار د. محمد مصطفى هدارة إلى هذا المعنى فقال : « وقد سبق أن بينا أننا نستبعد وجود تأثير هندي أو نصراني على تنمية حركة الزهد بصفة عامة ، ولكننا ننفي أن يكون الزهد العربي نابعاً من هذه المؤثرات ، والفرق كبير بين المعنيين . ثم إن هذه الدلائل التي يذكرها بروكلمان ليست قاطعة في الدلالة على ما يدعيه ،

---

(١) الديوان : ٤٨٢ .

(٢) تاريخ الأدب العربي : ٢ / ٣٥ .

فافتتاح القصائد بلفظ « أين » إنما يضاهي ما هو موجود في الآيات القرآنية التي تحكي لنا أساطير الأولين ، كما أنه موجود في الشعر العربي قبل أبي العتاهية. ... هذه المعاني التي نقلها أبو العتاهية عن يعقوب السروجي ؟ إننا نرى أن شعر أبي العتاهية يعتمد غالباً على معان قرآنية ، ربما ظهرت في صياغته لها بعض التأثيرات الفلسفية التي لا بد أن يكون قد تعرض لها في عصره»(١) .

والذي نريد أن نؤكده في ختام هذا المبحث ، أن زهد أبي العتاهية كان زهداً حقيقياً ، نابعاً من إسلامه ، وقد تأثر فيه بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وأفعال الصالحين ، ولا يعني هذا أننا نستبعد تماماً تأثره بثقافات عصره على اختلاف أنواعها ، ووجود مؤثرات داخلية أخرى تؤثر فيه إلى جانب الزهد الموجود في فطرته. فهذه العوامل كلها أبرزت هذا الجانب فيه . وإن لم تكن هي التي أوجدته . ويكفي أن نقول : إن أبا العتاهية هو صاحب أول ديوان كامل في الزهد ، وهو يعتبر بحق أبا الشعر الديني في الأدب العربي .

شعره :

يجمع رواة الشعر على أن أبا العتاهية كان من كبار الشعراء ، وأن شعره كان في قمة الشعر العربي في عصره . قال عنه ابن قتيبة : « وكان أحد المطبوعين ، وممن يكاد يكون كلامه كله شعراً » . وكان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربما قال شعراً موزوناً يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب »(٢) . أما الخطيب البغدادي فقال عن شعره : « وهو أحد من سار قوله . وانتشر شعره ، وشاع ذكره » « وأكثر شعره حكم وأمثال ، وكان سهل القول ، قريب المأخذ ، بعيداً عن التكلف ، متقدماً في الطبع »(٣) . ويتفق ابن المعتز مع غيره في الحكم على شعر أبي العتاهية إذ يقول : « كان أبو العتاهية أحد المطبوعين ، وممن كاد يكون كلامه شعراً كله »(٤) .

---

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني : ٣١٧ .

(٢) الشعر والشعراء : ٢ / ٧٩١ .

(٣) تاريخ بغداد : ٦ / ٢٥٠ .

(٤) طبقات الشعراء : ٢٢٨ .

ويزيد الأصفهانى بأن للشاعر شعراً مرذولا ساقطاً ، نظراً لكثرة شعره ، فيقول : « وكان غزير البحر ، لطيف المعانى ، سهل الألفاظ ، كثير الإفتنان ، قليل التكلف ، إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك ، وأكثر شعره فى الزهد والأمثال »(١) .

وتذكر لنا كتب الأدب والتاريخ أشياء كثيرة عن تقدم أبى العتاهية فى ميدان الشعر ، وجودته فيه ، وسبقه إلى المعانى الجميلة ، والابتكارات اللطيفة . من ذلك ما ذكره صاحب الأغانى من أن موسى بن صالح الشهرزورى جاء إلى سلم الخاسر فقال له : أنشدنى لنفسك . قال : لا ، ولكنى أنشدك لأشعر الجن والإنس لأبى العتاهية . ثم أنشده قوله :

سَكَنٌ يَبْقَى لَهُ سَكَنُ ... مَا بِهَذَا يُؤْذِنُ الزَّمَنُ
نَحْنُ فِي دَارٍ يُخَبِّرُنَا ... بِبَلَاهَا نَاطِقٌ لَسِنُ
دَارُ سُوءٍ لَمْ يَدُمْ فَرَحٌ ... لامْرِىءٍ فِيهَا وَلَا حَزَنُ
فِى سَبِيلِ اللهِ أَنْفُسُنَا ... كُلُّنَا بِالْمَوْتِ مُرْتَهَنُ
كُلُّ نَفْسٍ عِنْدَ مِيتَتِهَا ... حَظُّهَا مِنْ مَالِهَا الْكَفَنُ
إِنَّ مَالَ الْمَرْءِ لَيْسَ لَهُ ... مِنْهُ إِلَّا ذِكْرُهُ الْحَسَنُ(٢)

وينقل لنا ابن عبد البر جامع ديوانه أن مصعب بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه كان يقول : أبو العتاهية أشعر الناس . فلما قيل له : بأى شىء استحق ذلك عندك ؟ . قال : بقوله :

تَعَلَّقْتُ بِآمَالٍ ... طِوَالٍ أَىَّ آمَالِ
وَأَقْبَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا ... مُلِحًّا أَىَّ إِقْبَالِ
فَيَا هَذَا تَجَهَّزْ لِـ ... فِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ
فَلَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ ... عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالِ

---

(١) الأغانى : ٤/٢ .

(٢) الأغانى : ٤/١١ وما بعدها .

ثم قال مصعب : هذا كلام حق لا حشو فيه ولا نقصان ، يعرفه العاقل ، ويقر به الجاهل(١) .

ويذكر ابن عبد البر كذلك رواية أخرى تدل على اشتهار أبي العتاهية في ميدان الشعر ، وتقدمه فيه ، وسبقه أقرانه فيقول : « ذكر الزبيدي عن الفراء قال : دخلت على جعفر بن يحيى فقال : يا أبا زكريا ما تقول فيما أقول ؟ قلت : وما تقول ؟ . قال : أزعم أن أبا العتاهية أشعر أهل هذا العصر . فقلت : هو والله قولي ، وهو أشعرهم عندي »(٢) .

ويروي صاحب الأغاني روايات متعددة تجمع كلها على تقدم أبي العتاهية في ميدان الشعر ، واعتراف شعراء عصره له بهذا التقدم : كبشار ، وأبي نواس ، وغيرهما .

وكان أبو العتاهية يعرف في نفسه هذه المقدرة الكبيرة على قول الشعر فكان يقول : « ما أردته قط إلا مثل لي ، فأقول ما أريد ، وأترك ما لا أريد » وقال عن نفسه كذلك : « لو شئت أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلت »(٣) .

والذي يبدو أن سبب هذه الشهرة التي اكتسبها شعر أبي العتاهية ابتعاده عن التكلف والتعقيد ، وسهولة ألفاظه ، بحيث أصبح شعره في مستوى عامة الناس ، ويبدو كذلك أن موضوع شعره الرئيسي ، وهو الزهد ، كان يتطلب هذا النوع من سهولة الألفاظ وبساطة المعاني بحيث يستوعبه الناس ويتأثرون به . ولعل هذا الهدف كان واضحاً لأبي العتاهية ، الذي قال عن شعره : « الصواب لقائل الشعر أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيما الأشعار التي في الزهد ، فإن الزهد ليس من مذاهب الملوك ، ولا من مذاهب رواة الشعر ، ولا طلاب الغريب ، وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد ، وأصحاب الحديث ، والفقهاء ، والعامة ، وأعجب الأشياء إليهم ما فهموه »(٤) .

---

(١) مقدمة الديوان بتحقيق شكري فيصل : ٢٧ .
(٢) مقدمة الديوان : ٢٨ .
(٣) الأغاني : ٤/١٣ .
(٤) انظر الأغاني : ٤/٧٠ .

الفصل الثانى

حـركة الزهد فى القـرن الثانى

انتشرت حركة الزهد فى القرن الثانى — وهو القرن الذى عاش فيه أبو العتاهية — انتشاراً واسعاً ، ولعل توسع الفتوحات الإسلامية فى هذا القرن ، وانصراف بعض المسلمين إلى بناء القصور والضياع ، واقتناء الأموال الطائلة ، دفع بعض الجماعات الإسلامية التى كانت تخشى حدوث الفتن والمصائب بسبب توسع المسلمين فى الإقبال على جمع الأموال ، إلى تبنى حركة زهد حقيقية ، هدفها الابتعاد عن ملذات الدنيا ، والانصراف إلى قراءة القرآن ، ووعظ الناس ، وتذكيرهم بالآخرة . ولا شك أن العامل الدينى كان من أقوى العوامل على انتشار حركة الزهد فى هذا القرن ؛ فقد شعر كثير من الناس بتفاهة الدنيا ، وأنها إلى زوال ، وأن نعيم الآخرة هو الباقى فانصرفوا إلى العبادة ، والتجأوا إلى الله عز وجل .

ويجعل د . محمد مصطفى هدارة العامل الاقتصادى من أسباب انتشار حركة الزهد فى هذا القرن فيقول : « ولم يكن الوضع الاقتصادى للجماعة الإسلامية بعيداً عن التأثير فى حركة الزهد ، فالفروق الواضحة بين الطبقات الاجتماعية ، أوجدت طبقة فقيرة بائسة ، لم تكن تستطيع شيئاً ، إلا أن تقنع بالكفاف من الرزق ، معتصمة بتقوى الله . وربما كان سوء توزيع الثروة أوضح فى البصرة منه فى أى مكان آخر ، وهذا هو السر فى كثرة الزهاد بها . ثم إن تدفق الثروة على طبقات معينة فى المجتمع الإسلامى من التجارة ، أو من الفتوحات ، أو ما أشبه ذلك ، أشاع الترف ، والإباحة ، وطلب اللذة المحرمة فى المجتمع ، وفتح الباب على مصراعيه أمام الشهوات والإلحاد . ولهذا كان من الضرورى أن توجد فئة تنعى على هذه الحياة الشاذة ، وترى مثلها الأعلى

فى الفضيلة الإنسانية ، وفى تجرد النفس من الشهوات ، والبعد عن مصادر الإغراء والفتنة »(١) .

وقد وجد فى هذا العصر عدد كبير من هؤلاء الوعاظ الصالحين ممن أوقفوا حياتهم على الدعوة إلى الابتعاد عن ملذات الدنيا ، التى تصرف الإنسان عن طاعة ربه . ومن هؤلاء الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠ هـ وسفيان الثورى المتوفى سنة ١٦١ هـ ، وداود الطائى المتوفى سنة ١٦٥ هـ ، وعبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ ، والفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، وسفيان ابن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ هـ . وغيرهم كثير .

ومما لا شك فيه أن هؤلاء الزهاد اقتبسوا من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وأفعال الصحابة ، كل ما ذهبوا إليه فى دعوتهم التى ألحوا عليها كثيراً ، ونذروا أنفسهم من أجلها .

فالقرآن الكريم ذكر الدنيا ، وبين أنها ستنقلب فى الآخرة إلى عذاب شديد ومغفرة من الله ، وذلك بحسب عمل العبد فى الدنيا . وأمر الله عباده بالمسارعة فى فعل الخيرات ، وتقديم الباقى على الفانى ، وذكر أن السعيد هو الذى يوفق للعمل الصالح . قال تعالى :

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدراً »(٢) .
وقال تعالى عن الدنيا : **« إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون »(٣) .**
وآيات القرآن الكريم التى تحث على الزهد فى الدنيا كثيرة ، وليس هنا مجال استقصائها .

---

(١) اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى : ٣٠٩ .
(٢) سورة الكهف : آية ٤٥ .
(٣) سورة يونس ، آية ٢٤ .

وحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مثلا أعلى فى باب الزهد ، واحتقار الدنيا وملذاتها ، والاكتفاء بالقليل منها ، فى الصحيحين من حديث [أبي هريرة] قال : والذى نفس أبى هريرة بيده ما شبع نبي الله وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا . وفى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : ما أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رغيفاً مرققاً ولا شاة سميطاً قط حتى لحق بربه . وفى المسند عن عائشة رضى الله عنها قالت : « والذى بعث محمداً بالحق ما رأى منخلا ولا أكل خبزاً منخولا منذ بعثه الله عز وجل إلى أن قبض . قال عروة : فكيف كنتم تأكلون الشعير ؟ . قالت : كنا نقول : أف أف أى ننفخه فيطير ما طار ، ونعجن الباقى(١) » .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يزهد أصحابه فى الدنيا ، فهى لا تساوى فى الآخرة شيئاً فعن المستورد بن شداد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع(٢) » رواه مسلم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بمنكبى فقال : « كن فى الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل »(٣) رواه البخارى . وقد وردت أحاديث كثيرة جداً فى فضل خشونة العيش والاقتصاد على القليل من المأكول والمشروب والملبوس ، نذكر منها حديث عروة الذى رواه عن خالته عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول : والله يا ابن أختى إن كنا لننظر الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قط . قلت : يا خالة فما كان يعيشكم ؟ . قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار ، وكانت لهم منايح ، فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا »(٤) متفق عليه .

---

(١) عدة الصابرين : ١٦٥ .
(٢) رياض الصالحين : ٢٠٥ .
(٣) المرجع السابق : ٢٠٧ .
(٤) المرجع السابق : ٢١٤ .

وكان صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم يقتدون به فى زهدهم ، على اختلاف مراتبهم فى الزهد ، ففى حياة رسول الله وجد أهل الصفة ، وهم جماعة من الصحابة انقطعوا فى مسجد رسول الله للعبادة ، وتركوا ملاذ الدنيا ومشاغلها ، قال أبو نعيم فى صفتهم : « وهم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض ، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض ، وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء ، كما جعل من تقدم ذكرهم أسوة للعارفين من الحكماء ، لا يأوون إلى أهل ولا مال ، ولا يلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا حال ، لم يحزنوا على ما فاتهم من الدنيا ، ولا يفرحون إلا بما أيدوا به من العقبى ، كانت أفراحهم بمعبودهم ومليكهم ، وأحزانهم على فوت الاغتنام من أوقاتهم وأورادهم ، هم الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، ولم يأسوا على ما فاتهم ، ولم يفرحوا بما آتاهم »

وللصحابة الكرام أقوال ومواقف كثيرة فى الزهد ، والحث على الابتعاد عن الدنيا وملذاتها ، من ذلك قول أبى الدرداء رحمه الله : ما يسرنى أن أقوم على الدرج من باب المسجد فأشترى وأبيع فأصيب كل يوم ثلاثمائة دينار أشهد الصلاة كلها فى المسجد . ما أقول : إن الله عز وجل لم يحل البيع ويحرم الربا ولكنى أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله »(٢) .

وبعد الصحابة الكرام جاء التابعون ، وتابعوهم ، ثم صلحاء الأمة ، واتفق الجميع على وصف الدنيا ، وأنها تلهى العباد عن طاعة الله ، وتبعدهم عن فعل الخيرات ، ولهم أقوال فى ذلك ، منها قول مالك بن دينار عن الدنيا : اتقوا السحارة ، فإنها تسحر قلوب العلماء . وقال عنها يحيى بن معاذ : الدنيا خمر الشيطان ، من سكر منها فلا يفيق إلا فى عسكر الموتى نادماً بين الخاسرين ، وأقل ما فى حبها أنه يلهى عن حب الله وذكره ، ومن ألهاه ماله عن ذكر الله فهو من الخاسرين ، وإذا لها القلب عن ذكر الله سكنه الشيطان ، وصرفه حيث أراد(٣) . أما الحسن البصرى فقال عنها : يا ابن آدم لا تعلق قلبك فى

---

(١) حلية الأولياء : ١ / ٣٣٧ .
(٢) كتاب الزهد : ١٣٧ .
(٣) عدة الصابرين : ١٨٦ .

الدنيا فتعلقه بشر معلق ، اقطع حبالها ، وأغلق أبوابها ، حسبك يا ابن آدم منها ما يبلغك المحل(١) .

في القرن الثاني كذلك انتشرت حركة تأليف كتب الزهد والرقائق ، مواكبة بذلك حركة الزهد العامة التي انتشرت في أوساط المجتمع ، والتي أصبح لها رواد وأتباع ، وكان هدف مؤلفيها حث الناس على الاقتداء بسيرة زهاد الأمة السابقين من الأنبياء والصحابة وغيرهم . ومن هذه الكتب : « كتاب الزهد » للإمام أحمد بن حنبل الشيباني الذي تحدث فيه عن زهد الأنبياء والصحابة والتابعين . وقد امتدح الإمام ابن تيمية هذا الكتاب وجعله من أفضل ما كتب عن الزهد . ومنها كذلك كتاب « الزهد » للإمام عبد الله ابن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ وكتابه من أجل ما ألف في هذا الباب . قال عنه ابن تيمية : « ومن أجل ما صنف في ذلك كتاب الزهد لعبد الله ابن المبارك . وفيه أحاديث واهية »(٢) . وممن ألف كذلك كتباً خاصة في الزهد ، الإمام وكيع بن الجراح ، وهو من شيوخ الإمام أحمد بن حنبل ، وقد توفي سنة ١٩٧ هـ ، ومنهم الحافظ أسد بن موسى ، وأحمد بن حرب ابن عبد الله . والإمام أبو داود السجستاني ، وغيرهم كثير »(٣) .

وقد أشار بعض العلماء إلى أن الزهد لا ينافي الغنى . فقد يكون الغنى زاهداً بل ربما يكون أزهد من الفقير ، يقول ابن قيم الجوزية : « الزهد لا ينافي الغنى ، بل زهد الغنى أكمل من زهد الفقير ، فإن الغنى زهد عن قدرة ، والفقير عن عجز ، وبينهما بعد بعيد ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال غناه أزهد الخلق ، وكذلك إبراهيم الخليل ، كان كثير المال ، وهو أزهد الناس في الدنيا »(٤) .

وروى الترمذي في جامعه من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعته ،

---

(١) عدة الصابرين : ١٨٦ .
(٢) انظر مقدمة الكتاب بتحقيق الأعظمي .
(٣) المرجع السابق : ١٤ .
(٤) عدة الصابرين : ٢٩٥ .

ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يدك أوثق بما فى يد الله ، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فى ثوابها لو أنها بقيت لك »(١) . وللإمام أحمد رضى الله عنه رأى فى الزهد ، حينما سئل عن [illegible] يكون معه ألف دينار هل يسمى زاهداً ؟ . فأجاب : نعم بشرط أن لايفرح إذا زادت ، ولا يحزن إذا نقصت(٢) .

وكما أن لعلماء الأمة وصلحائها أقوالا فى الزهد ، وحثاً عليه : فإن للشعراء كذلك دوراً فى تلك الدعوة قبل أبى العتاهية ، وفى زمنه كذلك . ومن هؤلاء الشعراء عروة ابن أذينة الذى كان يدعو إلى التعفف عما فى أيدى الناس ، وكان له فى هذا المجال موقف مع هشام بن عبد الملك : فقد وفد إليه مع مجموعة من الشعراء فسأله هشام ألست القائل :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الإِسْرَافُ مِنْ خُلقِى
أَنَّ الَّذِى هُوَ رِزْقِى سَوْفَ يَأْتِينِى
أَسْعَى لَهُ فَيُعْيِينِى تَطَلُّبُـــهُ
وَلَوْ جَلَسْتُ أَتَانِى لَا يُعَنِّينِى

فقال له عروة : نعم أنا قائلها . قال له هشام : أفلا قعدت فى بيتك حتى يأتيك رزقك ؟ . وغفل عنه هشام ، فخرج من وقته ، وركب دابته ، ومضى منصرفاً . ثم افتقده هشام فعرف خبره ، فأتبعه بجائزة وقال للرسول قل له : أردت أن تكذبنا ، وتصدق نفسك ؟ . فلحقه الرسول ، وقد نزل على ماء يتغدى عليه ، فأبلغه رسالته ، ودفع إليه الجائزة . فقال : قل له : قد صدقنى ربى وكذبك . . ونجد كذلك أن شاعر المجون الشهير أبا نواس تحدث عن الزهد فى الدنيا ، حيث قيل إنه تاب فى آخر حياته ، وله أبيات جميلة فى هذا الباب منها قوله :

---

(١) ، (٢) عدة الصابرين : ٢٩٥ .
(٣) شعر عروة ابن أذينة : ١٨ .

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ
خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهُ يُغْفِلُ مَـا مَضَى
وَلَا أَنَّ مَـا تُخْفِي عَلَيْـهِ يَغِيبُ
لَهَوْنَا عَنِ الأَيَّامِ حَتَّى تَتَـابَعَتْ
ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُـوبُ
فَيَـا لَيْتَ أَنَّ اللهَ يَغْفِرُ مَـا مَضَى
وَيَـأْذَنُ فِي تَوْبَاتِنَـا فَنَتُـوبُ

ومما يدل على انتشار حركة الزهد ، وتعلق الناس بها فى القرن الثانى ، أن عامة أهل بغداد كانت تتعلق بزهديات أبى العتاهية ، وتتغنى بها ، بل إن الرشيد كان يبكى عندما يسمع بعض قصائده . من ذلك ما رواه صاحب الأغانى من أن بعض الملاحين غنوا للرشيد فى إحدى نزهاته على شاطىء دجلة قصيدة أبى العتاهية التى يقول فيها :

خَانَكَ الطرْفُ الطمُوحُ أَيها القَلْبُ الجَمُوحُ
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّـ ـرِّ دُنُوٌّ وَنُـزُوحُ
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْـهُ نَصُوحُ
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَـا هُنَّ قُـرُوحُ
أَحْسَنَ اللهُ بِنَـا إِنَّ الخَطَايَا لَا تَفُوحُ[1]

فلما سمعها الرشيد بكى ، وانتحب ، ولم يسكت حتى توقف الملاحون عن الإنشاد .

ويرى شوقى ضيف فى هذه الحادثة ومثيلاتها أدلة واضحة على ما كان

(١) الديوان : ٩٧ .

لأشعار أبي العتاهية « من صدى عميق في نفوس الطبقة العامة ، التي لم تكن تعرف ترفاً ولا نعيماً ، إنما كانت تعرف الكدح ، وشظف العيش ، وكأنما أحست عنده بأنه يتغنى آلامها وبؤسها »(١) .

(١) العصر العباسي الأول : ٢٥١ .

الفصل الثالث

اتهامات الأقدمين والمحدثين لأبي العتاهية

انتشرت فى بداية العصر العباسى الأفكار والآراء التى تخالف الإسلام، ويبدو أن اختلاط المسلمين بغيرهم من الشعوب ولا سيما الفرس كان سبباً مباشراً لانتشار تلك النحل بينهم .

ومن بين تلك المذاهب التى وجدت فى عصر الدولة العباسية (المانوية) . وينسب هذا المذهب إلى مانى بن فتق بن بابك بن أبى برزام . ويقوم هذا المذهب على أن مبدأ العالم من شيئين هما : النور والظلمة ، وكل واحد منهما منفصل عن الآخر ، والنور هو الخير بكل أنواعه ، والظلمة هى الشر بكل أنواعها كذلك . وفرض مانى على أتباعه طقوساً وعادات بعيدة كل البعد عن الإسلام(١) .

ومن مبادىء هذا المذهب انتقاص الأنبياء ، ورميهم بالكذب ، والزعم بأن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم(٢) .

وقد أطلقت كلمة « زنديق » على من يحمل هذه الأفكار فى عهد الدولة العباسية (٣) .

وقد حارب العباسيون أصحاب هذه المبادىء ، وكانوا يتعقبونهم أينما وجدوا ، ويوقعون بهم أشد أنواع العذاب ، وكانت هذه التهمة كافية لجعل صاحبها يستحق الموت .

ولم يسلم أبو العتاهية من رميه بتهمة « الزندقة » كما رمى بها أقرانه من كبار الشعراء فى الدولة العباسية كأبى نواس ، وبشار بن برد ، مع الفارق الكبير بينه وبينهما .

---

(١) الفهرست : ٣٩١ .

(٢) ، (٣) المصدر السابق : ٣٩٨ .

وقد أشار أبو الفرج الأصفهاني إلى هذه التهمة التي كان يرمى بها أبو العتاهية فقال : « كان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ، ممن لا يؤمن بالبعث ، ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد »(١) . ونحن نلاحظ أن أبا الفرج الأصفهاني لم يؤيد هذا القول ، ولم ينفه كذلك ، مع أنه أورد روايات أخرى يقول بعضها بزندقة أبي العتاهية . ويقول البعض الآخر بنفيها عنه .

وذكر النشور والمعاد ورد في شعر أبي العتاهية كثيراً . وكان يكثر من الحديث عن الجنة والنار ، وما فيهما من نعيم أو بلاء ، من ذلك قوله :

فَلَوْ كَانَ هَوْلُ الْمَوْتِ لَا شَيْءَ بَعْدَهُ
لَهَانَ عَلَيْنَا الْأَمْرُ وَاحْتُقِرَ الْأَمْرُ
وَلَكِنَّهُ حَشْرٌ وَنَشْرٌ وَجَنَّةٌ
وَنَارٌ وَمَا قَدْ يَسْتَطِيلُ بِهِ الْخَبَرُ(٢)

ومنها قوله كذلك :

الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ
فَلَيْتَ شِعْرِيَ بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ؟
الدَّارُ جَنَّةُ خُلْدٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا
يُرْضِي الْإِلَهَ وَإِنْ قَصَّرْتَ فَالنَّارُ(٣)

وتحدث أبو العتاهية كثيراً عن الحشر ، وهوله ، في شعره ؛ من ذلك قوله :

---

(١) الأغاني : ٤/٢ .
(٢) الديوان : ١٦٣ .
(٣) الديوان : ١٤١ .

يَكُونُ الْفَتَى فِي نَفْسِهِ مُتَحَرِّزًا
فَيَأْتِيهِ أَمْرُ اللهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي

وَمَا هِي إِلَّا رَقْدَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا
تَطُولُ عَلَى مَنْ كَانَ فِيهَا إِلَى الْحَشْرِ (١)

ويورد الأصفهانى كذلك رواية أخرى ، يستدل بها على ابتعاد أبى العتاهية عن الإسلام فيقول : « حدثنى الصولى قال : حدثنا موسى عن أحمد بن حرب قال : كان مذهب أبى العتاهية القول بالتوحيد ، وأن الله خلق جوهرين متضادين لا من شىء ، ثم أنه بنى العالم هذه البنية منهما ، وأن العالم حديث العين والصنعة ، لا محدث له إلا الله . وكان يزعم أن الله سيرد كل شىء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان جميعاً . وكان يذهب إلى أن المعارف واقعة بقدر الفكر والاستدلال والبحث طباعاً . وكان يقول بالوعيد ، وبتحريم المكاسب ، ويتشيع بمذهب الزيدية البترية المبتدعة »(٢) . وهذه التهمة تجعل أبا العتاهية يخلط بين عقيدة التوحيد وبين مذهب مانى الذى يرد كل شىء فى هذا العالم إلى النور والظلمة » أو « الخير والشر » . كما أن هذه التهمة تجعله شيعياً على مذهب الزيدية البترية .

والواقع أن ردنا على هذه التهمة ما ذكره صاحب تاريخ بغداد من أن هارون الرشيد قال لأبى العتاهية : الناس يزعمون أنك زنديق . فقال : يا سيدى كيف أكون زنديقاً وأنا القائل :

أَيَا عَجبِي كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ جَاحِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ(٣)

---

(١) المرجع السابق : ١٤٧ وانظر فى هذا المعنى كذلك الأبيات فى صفحة ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ وغير ذلك كثير جداً فى ديوانه .

(٢) الأغانى : ٤/٦٠٥ .

(٣) تاريخ بغداد : ٦ / ٢٥٢ وانظر كذلك شذرات الذهب : ٢ / ٢٥ .

وكان منصور بن عمار(١) يتهم أبا العتاهية كذلك بأنه زنديق ، لأنه يتهاون بذكر الجنة والنار ، فبلغ ذلك أبا العتاهية فكتب إليه :

إنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ يومٌ عَسِيرٌ لَيْسَ لِلظَّالِمِينَ فِيهِ نَصِيرُ
فَاتَّخِذْ عُدَّةً لِمَطْلَعِ الْقَبْـرِ وَهَوْلِ الصِّرَاطِ يامَنْصُورُ

ووجه بها إليه . فندم منصور على قوله وقال : أشهدكم أن أبا العتاهية قد اعترف بالموت والبعث ، ومن اعترف بذلك فقد برىء مما قذف به(٢) .

إن إيمان أبي العتاهية ، وتوحيده الخالص ، يتضح من خلال شعره ، ولا يمكن أن يرقى الشك إلى هذا الإيمان ، بمجرد أقوال ذكرها حساده ومبغضوه . أما اتهامه بالتشيع فباطل كذلك ، بدليل إشادته بالصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان . ولو كان أبو العتاهية ثنوياً كما ذكر الأصفهاني وغيره ، لما أجاب الرشيد بتلك الأبيات التي تدل على توحيده الخالص ، « ولو صح عن أبي العتاهية أنه اعتنق ذلك المذهب الذي يوفق بين الإسلام والتنويه ، لكان جوابه على الرشيد متمشياً مع مذهبه ، وتهرباً واضحاً من تهمة الزندقة ، لأن أساس مذهبه الإيمان بوحدانية الله ، وهي التي صورها في تلك الأبيات ، دون أن يزيد عليها شيئاً »(٣) .

ولم يكن الأصفهاني وحده الذي ذكر تهمة الزندقة التي تنسب إلى أبي العتاهية ، فقد ذكرها غيره من القدامى كذلك ، فابن قتيبة قال عنه : « ويرمى بالزندقة » . ونقل أبياتاً من شعره تؤيد ما ذهب إليه ، كقوله وقد أشار إلى السماء :

إِذَا مَا اسْتَجَزْتَ الشَّكَّ فِي بَعْضِ مَا تَرَى
فَمَـا لَا تَرَاهُ الدَّهْرَ أَمْضَى وَأَجْـوَزُ

---

(١) ويكنى بأبي السدى ، وكان زاهدا ، وله مؤلفات كثيرة في الزهد ، وذكر الآخرة سماها « مجالس » . انظر الفهرست : ٢٣٦ .

(٢) تاريخ بغداد : ٦ / ٢٥٣ .

(٣) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري : ٢٨٢ .

وقوله كذلك :

إنّ الْمَلِيــكَ رَآكِ أحْـ
سَنَ خَلْقِــهِ وَرَأى جَمَــالَكْ
فَحَــذَا بِقُــدْرَةِ نَفْسِــهِ
حُــورَ الْجِنَــان عَلَى مِثَــالِكْ(١)

أما ابن المعتز فقال عنه : « ويرمى بالزندقة مع كثرة أشعاره فى الزهد والمواعظ ، وذكر الموت ، والحشر ، والنار والجنة . والذى يصح لى أنه كان ثنوياً »(١) .

وقد رد ابن عبد البر على هذه التهم . وذكر أنها من صنع بعض معاصريه حسداً له لانصرافه عن ضلالهم ، ومجونهم إلى الزهد والتقوى فقال : « وكان بعض من مال به هواه إلى المجون ، وغلب عليه فى ذلك الجنون ، يمقت أبا العتاهية ، ويحسده ويغتابه لانصرافه عن طبقته من الشعراء المستخفين إذ بان له من ضلالهم ما زهده فى أفعالهم . فمال عنهم ، ورفض مذاهبهم ، وأخذ فى غير طريقهم ، وتاب توبة صادقة ، وسلك طريقة حميدة ، فزهد فى الدنيا ، ومال إلى الطريقة المثلى : وداخل العلماء والصالحين ، ونور الله تعالى قلبه ، فشغله بالفكرة فى الموت وما بعده ، ونظم ما استفاده من أهل العلم من السنن وسيرة السلف الصالح ، وأشعاره فى الزهد والمواعظ والحكم لا مثيل لها ، كأنها مأخوذة من الكتاب والسنة وما جرى من الحكم على ألسنة سلف هذه الأمة ، وكانت طبقته الأولى تعيبه حسداً له وبغضاً . حتى قالوا : إنه لايؤمن بالبعث وإنه زنديق ،وإن شعره ومواعظه إنما هى فى ذكر الموت . وقد بان فى شعره لمن طالعه وعنى به كذبهم ، وافتراؤهم ، لما فيه من ذكر التوحيد ، وذكر البعث ، والإقرار بالجنة والنار . والوعد

(١) الشعر والشعراء : ٢ / ٧٩٤،٧٩٥ .
(٢) طبقات الشعراء : ٢٢٨ .

والوعيد »(١) ثم يقول رداً على ابن قتيبة : « ولقد عجبت من أبي محمد ابن قتيبة عفا الله تعالى عنه ، كيف جاز عليه ما نسبه أهل الفسق إليه حسداً له ، ولم يتدبر أشعاره فى التوحيد ، والإقرار بالوعد والوعيد ، والمواعظ التى لا يفطن لها إلا التائب السليم القلب »(٢) . والمحدثون لهم فى زندقة أبى العتاهية آراء لم يخرجوا فيها عن آراء سابقيهم ، وإنما أخذوا منهم تلك الآراء فأيدها البعض ، وتوقف فيها البعض الآخر ، مورداً إياها بالطريقة نفسها التى أوردها الأقدمون . ومن هؤلاء شوقى ضيف الذى يميل إلى جعل أبى العتاهية ثنوياً ، ويرى أنه خلط بين المانوية والإسلام ، مستدلا بروايات الأصفهانى وبالأبيات التى أيد فيها تلك الرواية وهى :

لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْـدِنٌ وَجَوْهَرُ ... وَأَوْسَطٌ وَأَصْغَرٌ وَأَكْبَرُ

وَكُلُّ شَيْءٍ لاحِقٍ بِجَوْهَرِهْ ... أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهْ

الْخَيْرُ وَالشَّرُّ هُمَا أَزْوَاجُ ... لِذَا نَتَاجٌ وَلِذَا نَتَاجُ

لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ ... خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهُمَا ضِدَّانِ

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَّا ... بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدًّا(٣)

ويذهب هذا المذهب كذلك فيدا فيجعل أبا العتاهية يؤمن بالثنوية ، وهو مذهب مانى الذى يجعل العالم مكوناً من جوهرين هما : الخير والشر ، أو النور والظلمة فيقول : « أول ما نلاحظه فى معتقدات أبى العتاهية أنه كان يؤمن بالإثنينية بكل صراحة ، فالعالم الظاهر مكون من جوهرين متعارضين : والوجود تتنازعه طبقتان ، إحداهما خيرة ، والأخرى شريرة ، وهو يرجع الوجود كله فى النهاية إلى الجوهرين المتعارضين اللذين نشأ منهما الكون وتكون غير أن أبا العتاهية صاغ نظرياته الأثنينية فى صيغة واحدية ، إذ جعل الله الواحد عند بدء الأشياء وقال : إنه خالق الجوهرين ، وأن العالم ما كان له

---

(١) مقدمة الديوان : ٣٧ .

(٢) المصدر السابق : ٣٧ .

(٣) العصر العباسى الأول : ٢٤١ وانظر الأبيات فى الديوان : ٤٤٩ .

أن يوجد بدون الله وحده ، طارحاً بذلك أسطورة الخليط الأزلى بين الجوهرين ، أو المبدأين ، ونعنى بهما النور والظلمة »(١) . ويؤيد فيدا فى زعمه الذى ذهب إليه محمد بديع شريف ، فيجعل أبا العتاهية زنديقاً مستدلا على زندقته بما انتشر فى تضاعيف شعره من المعانى الدالة على الإثنينية ، وإلى هذا الزهد الذى هو مبدأ أصيل فى مبادىء المانوية ، وإلى ما كان يقال عنه أنه لا يذكر البعث فى شعره »(٢) .

ومن الذين نفوا تهمة الزندقة عن أبى العتاهية محمد برانق ، الذى قال عن أبى العتاهية : « لم يكن زنديقاً ، وما أظهر الزندقة ، وما فعل فعل المتزندقين »(٣) ويبرهن على ما ذهب إليه بقوله : « وما كان للرجل وهو نديم الخلفاء وسميرهم ، والمقرب إليهم أن يتزندق فى رحابهم »(٤) ومع أننا نؤمن بما ذهب إليه برانق إلا أن الدليل الذى قدمه على قوله دليل واه لا يمكن الاحتجاج به ، وقد أشار إليه د . محمد مصطفى هدارة بقوله : « وكأن كل الشعراء الزنادقة الملحدين كانوا مبعدين عن رحاب الخلفاء ، وكأن هذه الرحاب تستطيع أن تدخل فى قلوب الواردين عليها ، فتكشف الزنديق ، وتظهر الورع ، فترد هذا ، وتقبل ذاك »(٥) . ومنهم كذلك أنيس المقدسى الذى ذهب إلى أنه ليس فى شعر أبى العتاهية ما يدل على زندقته واستدل على ذلك بأن ابن النديم لم يذكره فى جملة الشعراء الزنادقة عندما عد هؤلاء الشعراء (٦). والواقع أن ما ذكره أنيس المقدسى لا يرقى إلى مرتبة الدليل القطعى على ما ذكره لأن ابن النديم عندما تحدث عن الزنادقة قال : « ومن أشهر هؤلاء الجعد بن درهم ، وصالح بن عبد القدوس . ومن الشعراء بشار بن برد ، وإسحق بن خلف ، وسلم الخاسر ، وغيرهم » (٧) فقد يقول

---

(١) من تاريخ الإلحاد فى الإسلام : ٣٨ .
(٢) الصراع بين الموالى والعرب : ٩٨ .
(٣) أبو العتاهية : ٣١ .
(٤) المرجع السابق : ٣١ .
(٥) اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى : ٢٨٤ .
(٦) أمراء الشعر العربى فى العصر العباسى : ١٥٠ .
(٧) الفهرست : ٣٩٨ .

قائل : إن ابن النديم عد أشهر الزنادقة ولم يعدهم كلهم ، ثم ذكر أن هناك غيرهم . فلعل أبا العتاهية من هذا الغير الذى لم يذكره . ولذا فإن قول المقدسي لا يرقى إلى مرتبة الدليل ، كما ذكرنا . وأحمد أمين من الكتاب المحدثين الذين نفوا تهمة الزندقة عن أبي العتاهية (١). ومن هؤلاء الكتاب كذلك د. محمد مصطفى هدارة الذى نفى هذه التهمة نفياً قاطعاً وأكد سلامة عقيدة أبي العتاهية وحسن إسلامه مستدلا على ذلك بكثير من أبياته الدالة على توحيده الخالص . يقول : « والواقع أننا نؤمن إيماناً وثيقاً بأن أبا العتاهية ليس زنديقاً ، ولا كافراً ، ولكنه يؤمن إيماناً لا يتطرق إليه الشك ، وكل ما فى الأمر أنه عاش وسط تيارات من الفلسفات المختلفة ، والمذاهب المتباينة ، فتأثر بها لا تأثر الزنديق ، ولكن تأثر المؤمن ، فهو يستخدم ما فى الثنوية من فكرة الخير والشر ، لتوضيح تيارهما فى نفس الإنسان . وفى العالم كله ، ولكنه لم يتعد هذه الحدود ، ولم يجعل لأيهما سلطاناً وإنما جعل الأمر كله بيد الإله الأوحد وبذلك لم يتعد حدود الإسلام » (٢) .

إن صحة إيمان أبي العتاهية لا يمكن أن يرقى إليها الشك ، ونحن نرى بوضوح ومن خلال دراستنا لديوانه أن أكثر هذا الديوان مأخوذ من روح الإسلام ؛ ومن القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة . وقد أشار إلى هذا المعنى ابن عبد البر حيث قال : « وأشعاره فى الزهد والمواعظ والحكم لا مثل لها ، كأنها مأخوذة من الكتاب والسنة ، وما جرى من الحكم على ألسنة سلف هذه الأمة » (٣) .

وكما ذكرنا فإن ديوان أبي العتاهية يؤكد صدق إيمانه ، وقوة عقيدته ، ولا بأس أن نورد بعض الأبيات التى تؤكد ما ذهبنا إليه . فمن ذلك قوله :

طَـالَ شُغْلِي بِغيرِ مَـا يَعْنِينِي
وَطِلَابِى فَـوْقَ الَّذِى يَكْفِينى

---

(١) انظر : ضحى الإسلام ١ /١٦٢ .

(٢) اتجاهات الشعر العربي فى القرن الثانى الهجرى : ٢٨٧ .

(٣) انظر مقدمة الديوان بتحقيق شكرى فيصل : ٣٧٠ .

وَاخْتِيَالِى بِمَا عَلَىَّ وَلَا لِى

وَاشْتِغَالِى بِكُلِّ مَا يُلْهِينِى

وَأَرَى مَا قَضَى عَلَىَّ إِلَٰهِى

مِنْ قَضَاءٍ فَإِنَّهُ يَأْتِينِى

وَلَوْ أَنِّى كَفَفْتُ لَمْ أَبْغِ رِزْقِى

كَانَ رِزْقِى هُوَ الَّذِى يَبْغِينِى

أَحْمَدُ اللهَ ذَا الْمَعَارِجِ شُكْرًا

مَا عَلَيْهَا إِلَّا ضَعِيفُ الْيَقِين

وَيْحَ نَفْسِى إِنِّى أَرَانِى بِدُنْيَا

ىَ ضَنِينًا وَلَا أَضَنُّ بِدِينِى

لَيْتَ شِعْرِى غَدًا أُعْطَى كِتَابِى

بِشِمَالِى لِشَقْوَتِى أَمْ بِيَمِينِى [1]

ومن جميل شعره الذى يدل على تمسكه بدينه ، واعتصامه بالله ، ولجوئه إليه القصيدة التى قالها فى مرض موته ، وهى :

إِلَٰهِى لَا تُعَذِّبْنِى فَإِنِّى

مُقِرٌّ بِالَّذِى قَدْ كَانَ مِنِّى

وَمَا لِى حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِى

وَعَفْوُكَ إِنْ عَفَوْتَ وَحُسْنُ ظَنِّى

---

(١) الديوان ص ٣٧٤ .

فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِى فِى الْبَرَايَا
وَأَنْتَ عَلَىَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنٍّ

إِذَا فَكَّرْتُ فِى نَدَمِى عَلَيْهَــا
عَضَضْتُ أَنَامِلِى وَقَرَعْتُ سِنِّى

يَظُنُّ النَّــاسُ بِى خَـيْرًا وَإِنِّى
لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّى

أُجَنُّ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَـا جُنُونًا
وَأُفْنِى الْعُمْرَ فِيهَــا بِالتَّمَنِّى

وَبَيْنَ يَدَىَّ مُحْتَبَسٌ طَوِيلٌ
كَأَنِّى قَدْ دُعِيتُ لَهُ كَأَنِّى

وَلَوْ أَنِّى صَدَقْتُ الزُّهْدَ فِيهَا
قَلَبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهْرَ الْمِجَنِّ(١)

* * *

(١) الديوان : ٢٧٦ .

الفصل الرابع

أثر القرآن في شعر أبي العتاهية

تأثر أبو العتاهية كثيراً بالقرآن الكريم ، ويتضح هذا التأثر فى كثرة ما نقل من آيات القرآن فى شعره ، وكانت ثقافته الإسلامية العامة مساعداً له فى نقل المعانى الإسلامية ، وصياغتها بقالب شعرى جميل . وقد فطن إلى هذا التأثر بعض القدامى والمحدثين ، فابن عبد البر يقول عن شعره : « وأشعاره فى الزهد والمواعظ والحكم لا مثل لها ، كأنها مأخوذة من الكتاب والسنة ، وما جرى من الحكم على ألسنة سلف هذه الأمة »(١) . أما شوقى ضيف فيقول عن تأثره بالقرآن والسنة : « وكان إلى ذلك مثقفاً ثقافة إسلامية واسعة. وهى تتضح فى كثرة ما نقله إلى زهدياته من آى الذكر الحكيم ، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم »(٢) ويقول عنه فى موضع آخر : « وهو فى عظاته يستمد من القرآن الكريم ، والحديث النبوى ، ووعظ الوعاظ ، ومن أمثال الحسن البصرى، كما يستمد من أشعار سابقيه »(٣) . ويؤكد د. محمد مصطفى هدارة هذه الحقيقة وهى أن أبا العتاهية كان يستمد من القرآن الكريم معظم أفكاره فيقول : « وليس من شك فى أن القرآن كان مصدراً أساسياً اعتمد عليه أبو العتاهية فى استمداد أفكاره ، حتى ليضمن فى أشعاره آيات من القرآن الكريم تكاد تكون بنصها »(٤) .

ونحن فى دراستنا هذه لا نريد أن نبحث تأثر أبى العتاهية بالقرآن الكريم ، فهذه حقيقة بدهية ، يعرفها ويلمسها بوضوح كل من اطلع على ديوانه . فمعظم هذا الديوان مستمدة معانيه وأفكاره من القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، والمعانى الإسلامية العامة ، ولكننا نريد أن

---

(١) مقدمة الديوان : ٣٧ .

(٢) العصر العباسى الأول : ٢٤٤ .

(٣) المرجع السابق : ٢٥٠ .

(٤) اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى : ٣١٩ .

نشير إلى الآيات القرآنية التى كان يوردها أبو العتاهية فى شعره بنصها وكما هى فى القرآن الكريم ، وهذه تعتبر من أهم الدلائل على تأثره بالقرآن الكريم .

والموضوعات التى أورد فيها أبو العتاهية آيات من القرآن الكريم تتلخص فى الموضوعات التالية :

أولا : القيامة وأهوالها :

تحدث الشاعر عن يوم القيامة ، وما يقع فى هذا اليوم من أهوال عظيمة لبنى البشر ، فنى هذا اليوم ينقسم الناس إلى قسمين : قسم يحظى بالسعادة ، والقسم الآخر يحظى بالشقاوة وكل حسب عمله ، يقول :

خُلِقَ الْخَلْقُ لِلْفَنَاءِ فَهُمْ بيْـ
نَ شَقِىٍّ مِنْهُمْ وبين سَعِيدِ[1]

ونلاحظ أنه أخذ الشطر الثانى من قوله تعالى فى سور هود (آية ١٠٥) : **« يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد »** . . وفى يوم القيامة يكون مع كل إنسان سائق وشهيد ، يقول الشاعر :

لَيْتَ شِعْرِى وَكَيْفَ حَالُكِ يَا نَفْـ
ـسُ غَدًا بَيْنَ سَائِقٍ وَشَهِيدِ[2]

وقد ذكر الله هذه الحقيقة فقال فى سورة ق (آية ٢١) : **« وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد »** . وفى يوم القيامة كذلك يأتى الإنسان ربه فرداً يقول الشاعر :

تَمُوتُ فَرْدًا وَتَأْتِى
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدَا[3]

وقد أخذ الشطر الثانى من قوله تعالى فى سورة مريم (آية ٩٥) : « وكلهم

---

(١) الديوان : ١٢٣ .
(٢) الديوان : ١٢٣ .
(٣) الديوان : ١٢٠ .

آتيه يوم القيامة فردا » . ووصف الشاعر يوم القيامة بـ « يوم التغابن » . وهو وصف ورد فى القرآن الكريم . يقول الشاعر :

أَأُخَيَّ مَا لَكَ نَاسِيًا يَوْمَ التَّغَابُنِ فِي الأُمُورْ (1)

ويقول القرآن الكريم فى سورة التغابن (آية ٩) : «يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » .

ويذكر الشاعر أنه فى يوم القيامة توفى كل نفس ما كسبت ، ويجنى كل حصاد زرعه ، فيقول :

غَداً تُوَفَّى النُّفُوسُ مَا كَسَبَتْ وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا (2)

وقد أخذ الشطر الأول من عدة آيات وردت فى القرآن الكريم : منها قوله تعالى فى سورة البقرة (آية ٢٨١) : « ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » وكذلك فى سورة (آل عمران آية ٢٥) : « ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » كما وردت كذلك فى سورة الجاثية (آية ٢٢) فى قوله تعالى : « ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » .

وذكر الشاعر أنه فى يوم القيامة ستزول هذه الدنيا ، وسينسفها الله نسفاً ، كما ذكر ذلك فى كتابه ، والله لا يخلف قوله ، يقول :

وَمَا الدُّنْيَا بِبَاقِيَةٍ سَتُنْزَحُ ثُمَّ تُنْتَسَفُ
وَقَوْلُ اللهِ ذَاكَ لَنَا وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ خُلْفُ (3)

وقد أخذ الشاعر الشطر الثانى من البيت الأول من قوله تعالى فى سورة طه (آية ١٠٥) : « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً » .

وفى يوم القيامة تكون مراتب الناس بحسب أعمالهم فى الدنيا ، وليس بحسب مكانتهم فيها ، فرب فقير كان لا يملك إلا ثياباً ممزقة رفع الله مكانته فى الآخرة ، وجعل مجلسه مليئاً بالزرابى والنمارق ، يقول :

---

(1) الديوان : ١٦٦ .
(2) الديوان : ٢٣١ .
(3) الديوان : ٢٤٣

أَلَا رُبَّ ذِى طِمْرَيْن فى مَجْلِس غَدا
زَرَابِيُّـــهُ مَبْثُوثَةٌ وَنَمَـــارِقُه[1]

ونلاحظ أنه أخذ الشطر الثانى من قوله تعالى فى سورة الغاشية (آية ١٥ ، ١٦) : «ونمارق مصفوفة . وزرابى مبثوثة» . ويكرر الشاعر القول بأنه فى يوم القيامة يصنف الناس بحسب أعمالهم فى الدنيا ، ولذلك فبعضهم يعطى كتابه بيمينه ، وهو السعيد ، والبعض الآخر يعطى كتابه بشماله وهو الشقى . يقول :

أَيَا نَفْسُ لَاتَنْسَىْ كِتَابَكِ واذْكُرِى
لَكِ الْوَيْلُ إنْ أُعْطِيتِهِ بِشِمَالِكِ[2]

وقد أخذ الشاعر الشطر الثانى من قوله تعالى فى سورة الحاقة (آية ٣٥) «وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه» ووصف الشاعر يوم القيامة بأنه يوم تقشعر منه الجلود ، وتشيب فيه ولهوله رؤوس الأطفال ، فقال :

لِلّهِ يَوْمٌ تَقْشَـعِرٌّ جُـلُودُهُمْ
وَتَشِيبُ مِنْـهُ ذَوَائِبُ الْأَطْفَال[3]

وقد أخذ الشطر الأول من قوله تعالى فى سورة الزمر (آية ٢٣) «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد» .

ومن هول يوم القيامة ، وما يقع فى هذا اليوم من نوازل وزلازل ، تقذف ذوات الأحمال أحمالهن فزعاً وهلعاً . يقول الشاعر :

---

(١) الديوان : ٣٥٥ .
(٢) المصدر السابق : ٢٧٢ .
(٣) المصدر السابق : ٢٨٣ .

يَوْمُ النّوازلِ وَالزّلَازلِ وَالْحَـوَا
مِلِ فِيهِ إِذْ يَقْـذِفْنَ بالأَحْمَالِ
يَوْمُ التّغَـابنِ وَالتّبَايُن والتّوَا
زُنِ وَالأُمُورِ عَظِيمَةِ الأَهْوَال (١)

وقد أخذ البيت الأول من قوله تعالى فى سورة الحج (آية ١ ، ٢) **« يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد »** .

أما جملة «يوم التغابن» فقد وردت فى سورة التغابن، وقد سبقت الإشارة إليها ..

وعندما كان أبو العتاهية يوجه نصائحه لإخوانه ، كان لا ينسى تذكيرهم بيوم القيامة ، وما فيه من الأهوال ، ويحضهم على العمل الصالح الذى ينجيهم عند الله يوم القيامة . ومن جميل نصائحه قوله :

رَغِيفُ خُـبْزٍ يَابِسٍ تَـأْكُلُهُ فِى زَاوِيَهْ
وَكُوزُ مَـاءٍ بَـارِد تَشْـرَبُهُ مِنْ صَـافِيَهْ
وَغُـرْفَةٌ ضَيِّقَـةٌ نَفْسُكُ فِيهَـا خَـالِيَهْ

إلى أن يقول :

خَـيْرٌ مَنِ السَّاعَاتِ فِى فَىْءِ الْقُصُورِ الْعَـالِيَهْ
تَعْقُبُهَـا عُقُـوبَةٌ تُصْلَى بِنَـارٍ حَـامِيَهْ (٢)

فقد أخذ الشطر الثانى من البيت الأخير من قوله تعالى فى سورة الغاشية (آية ٤) : **« تصلى ناراً حامية »** .

---

(١) الديوان : ٢٨٣ .
(٢) المصدر السابق : ٤٤١ الهامش .

وفى يوم القيامة تنفطر السماء كما ذكر الله فى قوله فى سورة الانفطار (آية : ١) « إذا السماء انفطرت » وقد أخذ أبو العتاهية هذه الآية ، فضمنها بيته الذى يقول فيه :

لَسْتُمْ تُرجَوْنَ لِلْحِسَابِ وَلَا يَوْمٍ تَكُونُ السَّمَاءُ مُنْفَطِرَهْ [1]

وكما تحدث عن انفطار السماء ، تحدث كذلك عن زلزال الأرض ، فى معرض قصيدته التى مدح فيها المهدى ، حيث قال :

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرِّرُ أَذْيَالَهَا
وَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرَهُ لَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا [2]

وقد أخذ الشطر الثانى من البيت الأخير من قوله تعالى فى سورة الزلزلة (آية ١) « إذا زلزلت الأرض زلزالها » .

ثانياً : دلائل عظمة الله :

تحدث أبو العتاهية كثيراً عن دلائل عظمة الخالق ، وأشار إلى كثير من صفاته التى وردت فى القرآن الكريم ، وكان يذكر هذه الصفات بنصها الذى جاء بها القرآن . فالله سبحانه هو الذى يأتى بالرزق وهو الغنى الحميد . يقول :

كُلَّ يَوْمٍ يَأْتِي بِرِزْقٍ جَدِيدٍ مِنْ مَلِيكٍ لَنَا غَنِيٍّ حَمِيدِ [3]

ووصف الله بـ « الغنى الحميد » ورد فى القرآن الكريم فى عشرة مواضع هى : البقرة آية ٢٦٧ ، إبراهيم آية ٨ ، الحج آية ٦٤ ، لقمان آية ١٢ ، لقمان آية ٢٦ ، فاطر آية ١٥ ، الحديد آية ٢٤ ، الممتحنة آية ٦ ، التغابن آية ٦ ، النساء آية ١٣١ ، ووصف الشاعر الخالق عز وجل بأنه « خير مولى » ولذا فعلى الناس جميعاً أن يعتصموا به فهو حسبهم وكافيهم . يقول :

---

(١) الديوان : ٦١٢ .
(٢) الديوان : ٦١٢ .
(٣) الديوان : ١٢٣ .

حَسْبُنَا اللهُ رَبُّنَـا هُوَ مَـوْلَى

خَيْرُ مَوْلَى وَنَحْنُ شَرُّ عَبِيدِ[1]

ونحن نلاحظ أن جملة « حسبنا الله » التى أوردها الشاعر فى بداية البيت وردت فى موضعين فى القرآن الكريم أحدهما فى سورة آل عمران ، (آية ١٧٣) وهى قوله تعالى : « **فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** » والآخر فى سورة التوبة (آية ٥٩) فى قوله تعالى : « **وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله** » . وقد استعمل الشاعر فى الشطر الثانى جملة « خير مولى » وقد وردت هذه الجملة فى القرآن الكريم بلفظ « نعم المولى » وهى تدل على المعنى نفسه . وقد وردت فى القرآن الكريم فى سورة الأنفال (آية ٤٠) فى قوله تعالى « **وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير** » .

وقد أخذ الشاعر سورة الإخلاص . فصاغها فى شعره . فى بيتين متفرقين ، أحدهما قوله :

شَهِدْنَا لَكَ اللَّهُمَّ أَنْ لَسْتَ وَالِدًا

وَلَكِنَّكَ الْمَوْلَى وَلَسْتَ بِمَوْلُودِ[2]

والآخر قوله :

الْحَمْـدُ لِلّهِ الْوَاحِـدِ الصَّمَدْ

هُوَ الَّذِى لَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَلِدْ[3] ،

ومن دلائل عظمة الخالق أنه هو الأول والآخر ، والباطن والظاهر وهو صاحب الملك الدائم ؛ ولذا فإنه يستوجب الحمد . والشكر من عباده وقد صاغ الشاعر هذه المعانى فى بيتين جميلين هما قوله :

---

(١) المصدر السابق : ١٢٣ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٤ .

(٣) الديوان : ١١٩ .

سُبْحَانَ مَنْ أَلْهَمَنِى حَمْدَه
وَمَنْ هُوَ الأَوَّلُ والآخِــرُ
وَمَنْ هُوَ الدَّائِمُ فِى مُلْكِهِ
وَمَنْ هُوَ الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ[1]

وقد أخذ أبو العتاهية الشطر الثانى فى البيت الأول والثانى من قوله تعالى فى سورة الحديد فى الآية الثالثة « **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** » . كما وصف الشاعر الخالق جل وعلا بأنه مالك الملك فقال :

تَبَارَكَ مَنْ لَايَمْلِكُ الْمُلْكَ غَيْرُهُ
مَتَى تَنْقَضِى حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَقْنَعُ[2]

وقد أخذ الشطر الأول من قوله تعالى فى سورة الملك فى الآية الأولى : « **تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير** » . والله سبحانه كذلك مبدع السموات والأرض ، ومادام الأمر كذلك فلابد من التسليم له فى كل شيء ، وامتثال أوامره ، وطاعته فيما يؤمر به . يقول الشاعر :

بَدِيعُ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ يَكْفِيكَ فَسَلِّمْ لَهُ وَأَنْتَ مُطِيعُ[3]

والشطر الأول من البيت ورد فى القرآن الكريم فى موضعين . أحدهما فى سورة البقرة (آية ١١٧) فى قوله تعالى : « **بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** » والموضع الآخر فى سورة الأنعام (آية ١٠١) وهى قوله تعالى : « **بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد** » .

والله سبحانه وتعالى له عاقبة الأمور كلها . والتفرق فى الدنيا سريع جداً ، وعبر الدنيا تمر أمام الناس كل يوم ، فلم لا يتعظ البشر وينيبون إلى خالقهم ؟ . يقول الشاعر :

---

(١) الديوان : ١٧٥ .
(٢) المصدر السابق : ٢١٢ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٢٧ .

لله عَاقِبَةُ الأُمُور جَمِيعَا أَخْشَى التَّفَرُّقَ أَنْ يَكُونَ سَرِيعا
أَفَتَأْمَنِ الدُّنْيا كَأَنَّكَ لَا تَرَى فِي كُلِّ وَجْهٍ لِلْخُطُوبِ صَرِيعَا[1]

وقد أخذ الشاعر جملة « لله عاقبة الأمور » فى الشطر الأول من البيت الأول من قوله تعالى فى سورة لقمان (آية ٢٢) : **ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور »** .

ويتحدث الشاعر عن عظمة الله عندما خلق السماء والأرض ، فهو الذى دحى الأرض ، ورفع سمك السماء وسواها ، وهو الذى يقلب الليل والنهار ويقدر أرزاق العباد ، ويدبر الأفلاك فى السماء . فهذا الخالق العظيم يستحق الحمد والشكر من عباده ، لعظمة ما يصنع لهم . يقول :

الْحَمْدُ لِلْخَالِقِ الَّذِي حَرَّكَ ال
سَّاكِن مِنَّا وَسَكَّنَ الْحَرِكَا
وَقَامَتِ الْأَرْضُ والسَّمَاءُ بِهِ
وَمَا دَحَى مِنْهُمَا وَمَا سَمَكَا
وَقَلَّبَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ وَصَبَّ ال
رِّزْقَ صَبًّا وَدَبَّرَ الْفَلَكَا[2]

نلاحظ أن الشاعر أخذ الشطر الثانى من البيت الثانى من قوله تعالى فى سورة النازعات فى الآيات من (٢٧ — ٣٠) : **« أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها »** وأخذ الشطر الأول من البيت الثالث من قوله تعالى فى سورة النور (آية ٤٤) : **« يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار »** .

ويشير الشاعر إلى أن قضاء الله لابد أن يقع ، وعلى المؤمن أن لا يجهل هذا الأمر ، لأنه لا يقدر على الجهل به لكونه من الأمور المعلومة . يقول :

---

(١) الديوان : ٢٢٨ .
(٢) الديوان : ٢٦١ .

وَإنْ قدَّرَ اللهُ أمْراً كَانَ مَفْعُولَا

وَكَيْفَ نَجْهلُ أَمْراً لَيْسَ مَجْهُولا[1]

والشطر الأول مأخوذ من قوله تعالى في سورة الأنفال (آية ٤٢) : « ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا » . وجاء فى سورة الأحزاب قوله تعالى : «وكان أمر الله مفعولا» ومن صفات الله كذلك أنه لا يخلف وعده ، يقول :

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ

بِمَا كَانَ أَوْصَى الْمُرْسَلِينَ و أَرْسَلَا[2]

وقد أخذ الشاعر هذا البيت من قوله تعالى فى سورة إبراهيم (آية ٤٧) « فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله » . ومن صفات الخالق التى تحدث عنها الشاعر أنه بيده الملك كله ، ويعلم ما تكنه الصدور . يقول :

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِى هُوَ لَمْ يَزَلْ

مَلِكًا بِمَا تُخْفِى الصُّدُورُ عَلِيمَا[3]

والشطر الأول مأخوذ من قوله تعالى فى سورة الملك الآية الأولى : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير » . وأخذ الشطر الثانى من قوله تعالى فى سورة غافر (آية ١٩)« يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » . وفى إحدى قصائده يحمد الشاعر رب العزة على كثير من صفاته . فهو يستحق الحمد الدائم يقول :

فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِى هُوَ دَائِمٌ

أَبَدًا وَلَيْسَ لِمَا سِواهُ دَوَامُ

والْحَمْدُ للهِ الَّذى لِجَلَالِه

وَلِحِلْمِه تَتَصَاغَرُ الْأَحْلَامُ

(١) الديوان : ٢٩٢ .

(٢) الديوان : ٣٠٤ .

(٣) الديوان : ٣٤٤

وَالْحَمْدُ لِلَّه الَّذِى هُو لَمْ يَزَلْ
لَا تَسْتَقِلُّ بِعِلْمِه الْأَوْهَـامُ
سَبْحَانَه مَلِكٌ تَعَالَى جَـدُّهُ
وَلِوَجْهِهِ الْإِجْلَالُ وَالْإِكْرَامُ[1]

وقد أخذ الشاعر الشطر الثانى من البيت الأخير من قوله فى تعالى فى سورة الرحمن (آية ٢٧) : «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» ومن سورة الرحمن كذلك (آية ٧٨) : «تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام» ومن صفات الخالق كذلك أنه لا تخفى عليه خافية . فهو مطلع على خبايا القلوب ، ويعلم أسرارها . يقول أبو العتاهية :

اللهُ يَعْلَمُ مَا تُجِنُّ قُلُوبُنَـــا
وَاللهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَة[2] .

والشطر الثانى من البيت أخذه الشاعر من قوله تعالى فى سورة الحاقة (آية ١٨) : «يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية» . ومن صفات الخالق أنه يحيي العظام البالية ، ويبعث أصحابها من قبورهم ، ليحاسبهم ، ثم يكون مصيرهم بحسب أعمالهم فى الدنيا إما إلى الجنة أو إلى النار . يقول الشاعر :

عَجَبًا لِمَنْ يَنْسَى الْمَقَابِرَ وَالْبِلَى
سُبْحَانَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ الْبَالِيَة[3]

والشطر الثانى مأخوذ من قوله تعالى فى سورة يس (آية ٧٨) : «وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم» ويصف الشاعر الخالق جل وعلا بأنه فعال لما يشاء ، آخذاً هذا المعنى من قوله تعالى فى سورة هود (آية ١٠٧) «إن ربك فعال لما يريد» ومن سورة البروج (آية ١٦) «ذو العرش المجيد فعال لما يريد» فيقول الشاعر :

---

(١) الديوان : ٣٥٢ .
(٢) الديوان : ٤١٨ .
(٣) الديوان : ٤١٨ .

اللهُ فعَّالٌ لِمَا يَشَـــاءُ غَدًا غَدًا يَنْكَشِفُ الْغِطاءُ[1]

ويكرر الشاعر هذا المعنى فى بيت آخر فيقول:

بَنَى مَعْنٌ وَيَهْدِمُهُ يَزِيدُ كَذَاكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ[2]

ومن صفات الله كذلك أنه فالق الأصباح ، وقد أشار إلى هذه الصفة فقال :

سُبْحَانَ رَبِّى فَالِقِ الإِصْبَـاحِ

مَا أَطْلَبَ الْمَساءَ لِلصَّبَاحِ[3]

وجملة « فالق الأصباح » أخذها الشاعر من سورة الأنعام (آية ٩٦) وهى قوله تعـالى : « **فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً** » .

ثالثاً : الحث على فعل الطاعات :

حرص أبو العتاهية فى شعره على حث المسلمين على فعل الخيرات بمختلف أنواعها ، لأنها هى التى تقربهم إلى الله ، وترفع منزلتهم عنده ، وتنجيهم من عذابه . وكان يغتنم كل فرصة ليتحدث عن نوع أو أكثر من أنواع الطاعة حاثاً سامعه على التمسك به . فهو عندما هجا العباس بن محمد حث الناس على التوكل على الله ، وعدم الاعتماد على خلقه فى أى شىء من أمور الدنيا ، فقال :

تَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَاقْنَعْ وَلَا

تَرِدْ فَضْلَ مَنْ فَضْلُهُ أَنْكَدُ[4]

وجملة « **توكل على الله** » وردت فى القرآن الكريم فى ستة مواضع هى :

---

(١) الديوان : ٤٥٧ .

(٢) الديوان : ٥٢٠ .

(٣) الديوان : ٤٥٩ .

(٤) الديوان : ١٢٠ .

آل عمران ١٥٩ ، النساء ٨١ ، الأنفال ٦١ ، النمل ٧٩ ، الأحزاب ٣ ، الأحزاب ٤٨ . وفى القصيدة نفسها نرى الشاعر يحث الناس على الالتجاء إلى الله بكل ما يستطيعونه من قوة ، ويستعمل اللفظة القرآنية التى وردت فى هذا المعنى فيقول :

فَفِرُّوا إِلَى اللهِ مِنْ لُؤْمِهِمْ
فَإِنِّى أَرَى النَّاسَ قَدْ أَصْلَدُوا [1]

والقرآن الكريم يقول فى سورة الذاريات آية ٥٠ «ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين» .

ويتحدث أبو العتاهية عن الموت وأهواله فى قصيدة جميلة ، ويقدم لسامعه عدداً من النصائح التى لو عملها لأنجاه الله من أهوال الموت وعذاب القبر ، ومن جملة هذه النصائح التمسك بالعروة الوثقى ، لأن التمسك بها منجاة عند الله فيقول :

وَلَا تَجْعَلَنَّ الْحَمْدَ إِلَّا لِأَهْلِهِ
وَلَا تَدَعِ الْإِمْسَاكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى [2]

وقد أخذ الشاعر الشطر الثانى من القرآن الكريم فى قول الله تعالى فى سورة البقرة (آية ٢٥٦) : «لا إكراه فى الدين . قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم» ووردت كذلك فى سورة لقمان : (آية ٢٢) فى قوله تعالى : «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور» .

وفى معرض حديثه عن الدنيا وأنها طريق إلى الآخرة ، يوصى بالإنفاق فى سبيل الله ، وعدم كنز الأموال ، لأن هذه الأموال ستؤول إلى الورثة

---

(١) الديوان : ١٢٠ .
(٢) الديوان : ٢٤٥ .

وليس لصاحبها منها إلا ما أنفقه فى حال حياته فى طرق الخير . يقول :

لِلْمرءِ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ مِنَ الْـ ... فَضْلِ وَلِلْوَارِثِينَ مَاتَرَكَه [1]

والشطر الأول من البيت جاء فى القرآن الكريم فى عدة آيات بلفظ « قدمت يداك » ، « قدمت يداه » من ذلك ما جاء فى سورة الكهف (آية ٥٧) « فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه » وفى سورة الروم (آية ٣٦) « وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون » ويؤكد الشاعر هذا المعنى مرة أخرى فى قصيدة ثانية . ولكنه هذه المرة يعد المنفق بأن الله سيخلف له ما أنفقه لأن هذا وعد الله لعباده المنفقين ، ويضيف الشاعر إضافة جديدة فيقول : إن الذى لا ينفق سيترك هذه الدنيا ، تاركاً أمواله ، ومذموماً من الناس . فلا هو الذى كسب المال ، ولا هو الذى كسب حمد الناس . يقول فى ذلك :

أَنْفِقْ فَإِنَّ اللّهَ يُخْلِفُهُ ... لَا تَمْضِ مَذْمُوماًوَتَتْرُكَه [2]

والشطر الأول من بيت الشاعر مأخوذ من قوله تعالى فى سورة سبأ (آية ٣٩) : « وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » . وفى معرض حديثه عن الإنفاق لا ينسى الشاعر أن يذكر المنفق فى سبيل الله بأنه يجب أن لا يتبع الإنفاق بالمن على من يعطيه شيئاً ، أو إيذائه بتذكيره بهذا الإعطاء ، لأن هذه الأفعال لا تليق بالمسلم الذى ينفق فى سبيل الله . يقول :

لَاتُتْبِعَنَّ يَدًا بَسَطْتَ بِهَا الْـ ... مَعْرُوفَ منكَ أَذىً وَلَامَنَّا [3]

وقد أخذ الشاعر هذا البيت من قوله تعالى فى سورة البقرة (آية ٦٢) « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم

(١) الديوان : ٢٦٠ .
(٢) الديوان : ٢٧٧ .
(٣) الديوان : ٣٨٣ .

أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ». ويحث الشاعر على طاعة الله بشكل مطلق ، وينذر العصاة بالويل الشديد ، فيقول :

اللهُ مَوْلَانَا ونِعْمَ الْمَوْلَى

فَقُلْ لِمَنْ يَعْصِيهِ أَوْلَى فَأَوْلَى (١)

أخذ الشاعر الشطر الثانى من قوله تعالى فى سورة القيامة آية ٢٣ ، ٢٤ « ثم ذهب إلى أهله يتمطى . أولى لك فأولى » . والحديث الطيب عند الشاعر لا يستوى مع الحديث السيء ، لأن صاحب القول الحسن له الأجر عند الله، بعكس صاحب القول السيء الذى ليس له إلا العقاب . يقول الشاعر عن هذا المعنى ، حاثاً الناس على الالتزام بالأقوال الحسنة :

طُوبَى لِمَنْ طاب لهُ الْحَدِيثُ

مَا يَسْتَوِى الطَّيِّبُ وَلَا الْخَبِيثُ (٢)

وقد أخذ الشاعر الشطر الثانى من قوله تعالى فى سورة المائدة (آية ١٠٠) « قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » . ويشنع الشاعر على الذى لا يطابق قوله عمله ، ويبين أن الله يمقت هذا العمل ويمقت صاحبه ، فيقول :

يَا أَيُّهَا الَّذِى يَقْرَأُ فى كُتْبِه

مَا أَمَرَ اللَّـهُ وَلَا يَفْعَـلْ

قَدْ بيَّن الرَّحْمَنُ مَقْتَ الَّذِى

يَأْمُرُ بِالْحَقِّ وَلَا يَفْعَلُ (٣)

وهذان البيتان أخذهما الشاعر من قول الله تعالى فى سورة الصف (آية ٣) « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

---

(١) الديوان : ٤٥٦ .
(٢) الديوان : ٤٦٥ .
(٣) الديوان : ٦٠١ .

رابعاً : الحديث عن الموت :

تحدث أبو العتاهية عن الموت وأهواله ، وبين أن الموت حق ، وسيصيب كل إنسان على وجه الأرض ، ولا يمكن لبشر مهما أوتى من القوة والمنعة أن ينجو من الموت ، أو يفر منه .. يقول فى إحدى قصائده :

وَحِدْتَ عَنِ الْموْتِ الَّذِى لن تَفُوتُهُ
وَلاَ بُدَّ مِمَّا أَنْتَ عَنْهُ تَحِيدُ

وقد أخذ هذا البيت من قوله تعالى فى سورة ق (آية ١٩) : « **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** » . وعن الموت كذلك يقول أبو العتاهية : إن الإنسان لا يمكن له أن يعرف الموعد الذى سيموت فيه ، ولا المكان الذى ستقبض فيه روحه ، ويدفن فيه ، لأن هذه الأمور لا يعلمها إلا الله وحده ، يقول :

لَيْتَ شِعْرِى فَإِنَّنِى لَسْتُ أَدْرِى
أَىُّ يَوْمٍ يَكُونُ آخِرَ عُمْرِى
وَبِأَىِّ الْبِلَادِ تُقْبَضُ رُوحِى
وَبِأَىِّ الْبِقَاعِ يُحْفَرُ قَبْرِى(٢)

وهذه المعانى التى أشار إليها الشاعر ذكرها القرآن الكريم فى سورة لقمان (آية ٣٤) فى قوله تعالى : « **« وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت** » . ويؤكد الشاعر فى بيتين آخرين ، على أن الإنسان لا يمكن أن يدفع الموت عن نفسه مهما وضع من أرصاد وحرس ، ومهما كانت أنواع الحصون التى يعيش فيها ، لأن هذه الأشياء لا تدفع الموت عن الإنسان . يقول :

---

(١) الديوان : ١٢١ .
(٢) الديوان : ١٧٠ .

مَا يَدْفَعُ الْمَوْتَ أَرْصَادٌ وَلَا حَرَسٌ
مَا يَغْلِبُ الْمَوْتَ لَا جِنٌّ وَلَا إِنْسُ (١)

ويقول فى موضع آخر :

وَلَمْ يَنْجُ مَخْلُوقٌ مِنَ الْمَوْتِ حِيلَةً
وَلَوْ كَانَ فِي حِصْنٍ وَثِيقٍ وَأَحْرَاسِ (٢)

وقد أخذ معنى هذين البيتين من قوله تعالى فى سورة النساء (آية ٧٨) **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة »** . وفى معرض حديثه عن الموت يذكر الشاعر حقيقة يعرفها كل الناس ، وهى أن الموت لابد أن يقع لكل الناس ، لأن الدنيا دار فانية ، وبعد الموت والفناء يبعث الله الناس ، فيحيي عظامهم التى اندثرت . يقول :

لَا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ بِدَارِ الْبِلَى
وَاللَّهُ بَعْدَ الْمَوْتِ يُحْيِي الْعِظَامَ (٣)

وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة فقال فى سورة يس (آية ٧٨) :
« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

ويتحدث الشاعر عن حالة الإنسان عند الموت وهو يلاقى سكراته ويتجرع غصصه ، فيصورها كما صورها القرآن الكريم فيقول :

يَا عَجَباً كُلُّنَا يَحِيدُ عَنِ الْـ
ـحَيْنِ وَكُلٌّ لِحَيْنِهِ لَاقِ

---

(١) الديوان : ١٨٨ .
(٢) الديوان : ١٩٢ .
(٣) الديوان : ٣٤٣ .

كَأَنَّ حَيًّا قَدْ قَامَ نَادِبُهُ
وَالْتَفَّتِ السَّاقُ مِنْهُ بِالسَّاقِ
وَاسْتَلَّ مِنْهُ حَيَاتَهُ مَلَكُ الْـ
ـمَوْتِ خَفِيًّا وَقِيلَ مَنْ رَاقِ[1]

وقد أخذ الشاعر الشطرين الأخيرين من البيت الثانى والثالث من قوله تعالى فى سورة القيامة (آية ٢٩) : «والتفت الساق بالساق» (وآية٢٧) وقيل «من راق» .

خامساً : نكد الدنيا وشقاؤها :

تحدث الشاعر عن نكد الدنيا ، وبين أنها دنيا فانية ، وأنها تغر الإنسان حتى توقعه فى شراكها فيهلك ، وحذر منها ، ودعى إلى التيقظ والانتباه ، يقول عن غرورها وعدم بقاء الإنسان فيها :

أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُور
مَا أَنْتِ يَا دُنْيَاى إِلَّا غُرُور[2]

وفى موضع آخر من ديوانه يكرر هذا المعنى فيقول :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ دُنْيَانَا غُرُورُ
وَأَنَّ مُقَامَنَا فِيهَا قَلِيلُ[3]

وقد أخذ الشاعر قوله «ألا إلى الله تصير الأمور» من قوله تعالى فى سورة الشورى (آية ٥٣) : «ألا إلى الله تصير الأمور» كما أخذ الشطر الأول من بيته الثانى من قوله تعالى فى سورة آل عمران (آية ١٨٥) : «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» ومن سورة الحديد آية (٢٠) : «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» .

---

(١) الديوان : ٥٨٩ .
(٢) الديوان : ١٧٢ .
(٣) الديوان : ٢٩٠ .

وعن فناء الدنيا وكل من عليها ، يقول الشاعر :

مَا هَبٌّ أَوْ دَبٌّ يَفْنَى لَا بَقَاءَ لَهُ
وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ وَالأَقْطَارُ وَالأُفُقُ[1]

وقد أخذ هذا المعنى من قوله تعالى فى سورة الرحمن (آية ٢٦ ، ٢٧) **« كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام »** .

وعدى الموضوعات الخمسة التى تحدثنا عنها فقد أورد الشاعر فى ديوانه بعض الموضوعات الأخرى ، التى ضمنها آيات من القرآن الكريم ولأن هذه الموضوعات جاء كل منها فى بيت واحد فسنكتفى بسردها معاً مع الإشارة إلى موضوع كل منها .

حث الشاعر على إقامة الصلاة فى وقتها ، وبين أنه من الإثم والضلال تأخير الصلوات عن أوقاتها فقال :

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا بِطَهُورِهَا
وَمِنَ الضَّلَالِ تَفَاوُتِ الْمِيقَاتِ[2]

وقد أخذ الشطر الأول من قوله تعالى فى سورة الأسراء (آية ٧٨) **« أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً »** . وبين الشاعر أن الله يجزى كل نفس بما كسبت فى الدنيا لأن الله لا يظلم أحداً فقال :

الْمَوْتُ حَقٌّ وَالدَّارُ فَانِيَةٌ
وَكُلُّ نَفْسٍ تُجْزَى بِمَا كَسَبَتْ[3]

وقد أخذ الشاعر الشطر الثانى من البيت من قوله تعالى فى سورة إبراهيم (آية ٥١) : **« ليجزى الله كل نفس ما كسبت »** ومن (آية ١٧) فى

---

(١) الديوان : ٢٤٩ .
(٢) الديوان : ٥٩ .
(٣) الديوان : ٥٤ .

سورة غافر « « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت » ومن (آية ٢٢) فى سورة الجاثية « ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » وتحدث الشاعر عن نعيم الجنة ، وما فيها من كل ما تلتذ له الأنفس فقال :

اذْكُرْ مَعَـادَكَ أَفْضَـلَ الذِّكْرِ
لَا تَنْسَ يَوْمَ صَبِيحَـةِ الْحَشْرِ
يَوْمَ الْكَرَامَـةِ لِلْأُولَى صَبَرُوا
وَالْخَيْرُ عِنْـدَ عَوَاقِبِ الصَّبْرِ
فِى كُلِّ مَا تَلْتَـذُّ أَنْفُسهم
أَنْهَـارُهُمْ مِنْ تَحْتِهِم تَجْرِي (١)

وقد أخذ الشاعر الشطر الثانى من البيت الأخير من قوله تعالى فى سورة البقرة (آية ٢٥) : « لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » وفى سورة آل عمران (آية ١٥) : « للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » وقد تكرر هذا المعنى كثيراً فى القرآن الكريم .

وتحدث الشاعر فى قصيدة جميلة عما يحدث للإنسان فى قبره ، وكيف يفنى فيه ، وتأكله الديدان ، وتحول جسمه الجميل المعطر إلى عظام نخرة ذات روائح عفنة فيقول :

إِنِّى سَأَلْتُ الْقَبْرَ مَا فَعَلَتْ ... بَعْدِى وُجُوهٌ فِيكَ مُنْعَفِرَهْ
فَأَجَابَنِي صَيَّرْتُ رِيحَهُمُ ... تُؤْذِيكَ بَعْدَ رَوَائِحٍ عَطِرَهْ
وَأَكَلْتُ أَجْسَادًا مُنَعَّمَةً ... كَانَ النَّعِيمُ يَهُزُّهَا نَضِرَة
لَمْ أُبْقِ غَيْرَ جَمَاجِمٍ عَرِيَتْ ... بِيضٍ تَلُوحُ وَأَعْظُمٍ نَخِرَهْ (٢)

---

(١) الديوان : ١٧٢ .
(٢) الديوان : ١٧٦ .

وقد أخذ الشاعر جملة « أعظم نخرة » من قوله تعالى فى سورة النازعات (آية ١١) : « يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة . أئذا كنا عظاماً نخره » .

* * *

وهكذا لاحظنا من خلال استعراضنا لأبيات أبى العتاهية التى ضمنها آيات من القرآن الكريم أنه كان متأثراً إلى حد بعيد بالقرآن الكريم بشكل خاص وبالمعانى الإسلامية بشكل عام ، وهذا يدل على ثقافة الشاعر الإسلامية وتمسكه بالإسلام ، وبقيمه كلها .

* * *

الفصل الخامس

أثر الحديث في شعر أبي العتاهية

وكما تأثر أبو العتاهية بالقرآن الكريم فقد تأثر كذلك بأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ، والأحاديث التي ضمنها أبياته الشعرية دليل واضح على شدة تأثره بالسنة النبوية ، واقتباسه منها .

أما الموضوعات التي تحدث عنها أبو العتاهية والتي ضمنها أحاديث الرسول فهي الموضوعات التالية .

أولاً : الزهد في الدنيا :

وموضوع الزهد هو الموضوع الرئيسي في ديوان أبي العتاهية ، فهو دائماً يتحدث عن هوان الدنيا ، ويدعو إلى نبذها ، والزهد فيها ، والتعلق بالآخرة . وما دام الأمر كذلك فمن البديهي أن يكون الزهد هو الموضوع الرئيسي الذي ضمنه أبو العتاهية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . فالإنسان يجب أن ينظر إلى الدنيا على أساس أنها ممر إلى الآخرة . وأنه سيتركها في أسرع وقت ، فمهما طال أجله فيها فهو قليل . يقول :

وَكُنْ دَاخِلًا فِيهَا كَأَنَّكَ خَارِجٌ
إِلى غَيْرِهَا مِنْهَا مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ[1]

وقد استفاد الشاعر من حديث ابن عمر الذي قال فيه « أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال : كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل . وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت

(١) الديوان : ١١٦ .

فلا تنتظر المساء . وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك »رواه البخارى(١)
ومن حقارة الدنيا وهوانها عند الله أنها لا تساوى عنده جناح بعوضة ،
والله سبحانه وتعالى لم يجعل الدنيا جزاء المؤمن ، ولا عقاب الكافر ،
بل ادخر ذلك للآخرة ، يقول الشاعر :

وَمَا تَعْـدِلُ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
لَدَى اللهِ أَوْ مَقْـدَارَ زَغْبَةِ طَائِرِ
فَلَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا ثَوَابًا لِمُؤْمِنٍ
وَلَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا عِقَابًا لِكَافِرِ (٢)

وقد ورد هذا المعنى فى الحديث الصحيح الذى رواه ابن ماجه عن
الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله
جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء »(٣) . والدنيا تشبه الظل الذى
يأتى ويزول سريعاً ، وما دام أمرها هكذا فلماذا التعلق بها ؟ يقول الشاعر :

إِنَّمَـا الدُّنْيَـا كَظِلٍّ زَائِلٍ
أَحْمَـدُ اللهَ كَذَا قَدَّرَهَـا (٤)

والشطر الأول من البيت أخذه الشاعر من الحديث الصحيح الذى
رواه الترمذى عن ابن مسعود قال : قال الرسول صلى الله عليه وسلم :
« مالى وللدنيا ، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح
وتركها » . ويكرر الشاعر المعنى السابق فى بيت آخر فيقول :

مَا نَحْنُ إِلَّا كَرَكْبٍ ضَمَّهُ سَفَرٌ
يَوْمًا إِلَى ظِلِّ فَيْءٍ ثُمَّتَ افْتَرَقُوا (٥)

---

(١) انظر رياض الصالحين باب فضل الزهد فى الدنيا : ٢٧٠ .
(٢) الديوان : ١٥٠ .
(٣) ابن ماجه ٢ /١٣٧٧ .
(٤) الديوان : ١٨٤ .
(٥) الديوان : ٢٤٩ .

وفى بيت ثالث فى قصيدة أخرى يقول الشاعر عن المعنى نفسه :

مَا أَنتِ يَا دُنْيَـا بِدَارِ إِقَامَـةٍ
مَا زِلْتِ يَا دُنْيَا كَفَىْءِ ظِلَالِ (١)

وتشبيه الدنيا بالظل من المعانى التى كررها الشاعر ، حيث نراه يقول :

لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَـا وَزُخْرُفُها
فَإِنَّهَا قُرِنَتْ بِالظِّلِّ فِي الْمَثَلِ (٢)

ثانيا : الحث على القناعة :

وتحدث الشاعر عن خلق القناعة ، وبين أن هذا الخلق من الصفات الحميدة التى يحسن بالإنسان أن يتخلق به ، والقناعة فى نظر الشاعر لا تتعارض مع السعى فى الحصول على الرزق ، ولكن هذا السعى يجب أن يكون فى فى حدود المعقول ، بحيث لا يشغل الإنسان عن واجباته الأخرى . يقول الشاعر :

وَسَرْبَلْتُ أَخْلَاقِي قُنُوعًا وَعِفَّةً
فَعِنْدِي بِأَخْلَاقِي كُنُوزٌ مِنَ الذَّهَبْ
فَلَمْ أَرَ خُلْقًا كَالْقُنُوعِ لِأَهْلِهِ
وَأَنْ يُجْمِلَ الْإِنْسَانُ مَا عَاشَ فِي الطَّلَبْ (٣)

والشطر الثانى من البيت الأخير أخذه الشاعر من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى

---

(١) الديوان : ٢٨٧ .
(٢) الديوان : ٢٩٥ .
(٣) الديوان : ٣٦ .

تستكمل رزقها ، فاتقوا الله ، وأجملوا فى الطلب »(١) . ويبين الشاعر أن الغنى ليس فى كثرة الأموال ، ولكنه فى القناعة فيقول :

يَطْلُبُ الْعَيْشَ الْفَتَى عَبَثاً
وَالْغِنَى فِى النَّفْسِ إنْ قَنِعَتْ(٢)

وهذا المعنى جاء فى الحديث الشريف ، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه « ليس الغنى عن كثرة العرض » .

ويؤكد الشاعر القناعة ، فيذكر أن أهل الكفاف ليسوا فقراء ، ولكن الفقراء هم الذين لا يتمتعون بالقناعة التى تجلب لهم الطمأنينة . وراحة البال ، فيقول :

مَا بِأَهْلِ الْكَفَافِ فَقْرٌ وَلَكِنْ
كُلُّ مَنْ لَمْ يَقْنَعْ فَذَاكَ فَقِيرُ(٣)

ويتحدث أبو العتاهية عن المال ، فيذكر أن المال قد يملك صاحبه ويستعبده ، فلا بد أن يعمل الإنسان ليعتق نفسه من هذا الرق ، ويكون هذا الإعتاق بإنفاق المال فى طريقه المشروع ، لأن المال الذى ينفقه المرء فى طريقه المشروع هو الذى يبقى له فى آخرته ، أما المال الذى يتركه بعد موته فهو لورثته ، وليس له منه شىء . يقول فى هذا المعنى :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُعْتِقْ مِنَ الْمَالِ رِقَّهُ
تَمَلَّكَهُ الْمَالُ الَّذِى هُوَ مَالِكُه
أَلَا إِنَّمَا مَالِى الَّذِى أَنَا مُنْفِقٌ
وَلَيْسَ لِى الْمَالُ الَّذِى أَنَا تَارِكُه

---

(١) انظر المستدرك ٢ /٤ ، ومناقب الشافعى للبيهقى ١ /٢٢٤ وابن ماجه ٢ /٧٢٥ وفتح البارى ١ /٢٠ .

(٢) الديوان : ٨٧ .

(٣) الديوان : ١٤٢ .

إِذَا كُنْتَ ذَا مَالٍ فَبَادِرْ بِهِ الَّذِى
يَحِقُّ وَإِلَّا اسْتَهْلَكَتْهُ هَوَالِكُهُ[1]

وقد أخذ الشاعر هذه الأبيات من الحديث الذى أورده مسلم فى صحيحه بلفظ «يقول ابن آدم مالى مالى، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»[2].

ثالثاً: الحث على فعل الخيرات:

اجتهد أبو العتاهية كثيراً فى حث الناس على فعل الخيرات، وبين أن فعل الخير هو الطريق المؤدى إلى النجاة فى الآخرة. وقد ضمن بعض أبياته التى دعا فيها إلى فعل الخير بعض الأحاديث النبوية الشريفة.

واجتناب مواطن الريبة من الأمور التى ينبغى للمؤمن أن يبتعد عنها، ونفس المؤمن هى التى تدله على مواطن الشر، لأنها نفس شفافة، وعند ذلك ينبغى الابتعاد عن الشر إلى الخير. يقول:

إِذَا عِبْتَ أَمْـرًا فَلَا تَـأْتِهِ
وَذُو اللُّبِّ مُجْتَنِبٌ مَا يَعِيبُ
وَدَعْ مَـا يَرِيبُكَ لَا تَـأْتِهِ
وَجُزْهُ إِلَى كُلِّ مَـا لَا يَرِيبُ[3]

والبيت الثانى مأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[4].

ومن الصفات الحميدة فى الإنسان المسلم أنه يقول الخير. ويصمت عما عداه.

---

(1) الديوان: ٢٧٦.
(2) صحيح مسلم ٨/٢١١.
(3) الديوان: ٣٧.
(4) انظر: صحيح الجامع الصغير ٣/١٤٤.

يقول الشاعر :

رَحِمَ اللهُ امْـرَءًا أَنْصَفَ مِن
نَفْسِهِ إِذْ قَالَ خَيْرًا أَوْ سَكَتْ[1]

وهذه الصفة الحميدة أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « رحم الله امرءاً تكلم فغنم أو سكت فسلم » (٢) .

وعندما يتحدث أبو العتاهية عن الموت والحساب يبين أن الناس يبعثون فى الآخرة بحسب أعمالهم فى الدنيا ، فمنهم من يسحب على وجهه ، ومنهم من يكون أغر محجلا بسبب أعماله الطيبة فى الدنيا . وهنا إشارة من الشاعر إلى فضل إسباغ الوضوء ، ودعوة لهذا الفعل الخير الذى حث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث الذى رواه أبوهريرة : « إن أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء : فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل »(٣) . وقد أخذ الشاعر هذا الحديث فقال :

هُوَالْمَوْتُ يَا ابْنَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثُ بَعْدَهُ
فَمِنْ بَيْنِ مَبْعُوثٍ مُخِفًّـاً وَمُثْقِلَا
وَمِنْ بَيْنِ مَسْحُوبٍ عَلَى حُرِّ وَجْهِهِ
وَمِنْ بَيْنِ مَنْ يَأْتِى أَغَرَّ مُحَجَّلَا[4]

ومن فعل الخير الذى أشار إليه الشاعر الإحسان إلى الناس ، لأن الخلق عيال الله ، وأحب الناس إلى الله أبرهم بعياله . يقول :

الْخَلْقُ كُلُّهُمُ عِيَـا ... لُ اللهِ تَحْتَ ظِلَالِهِ[5]
فَأَحَبُّهُمْ طُـرًّا إِلَيْـ ... ـهِ أَبَرُّهُمْ بِعِيَالِهِ

---

(١) الديوان : ٥٦ .

(٢) انظر : صحيح الجامع الصغير ٣ /١٧٥ .

(٣) الحديث متفق عليه ، وانظره فى رياض الصالحين : ٣٨١ .

(٤) الديوان : ٣٠٤ .

(٥) الديوان : ٣٣٥

وقد أخذ الشاعر هذا المعنى من الحديث الذى رواه أبو يعلى والبزار عن أنس والطبرانى عن ابن مسعود بلفظ « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله »(١) . كما حث على البر بعيال الله حث كذلك على رحمة الناس ، والعطف عليهم ، لأن الراحم يرحمه الله . يقول :

وَارْحَمْ لِرَبِّكَ خَلْقَــهُ ... فَلَيَرْحَمَنَّكَ إِنْ رَحِمْتَا(٢)

والشطر الثانى من البيت أخذه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، « ارحموا ترحموا واغفروا يغفر الله لكم »(٣) .

رابعاً : حسن المعاملة :

ومعاملة الناس بشكل حسن من الأمور الهامة التى ينبغى للمسلم أن يتحلى بها ، وهذه الصفة لازمة فى كل أمر من الأمور التى يتعامل بها الإنسان مع أخيه الإنسان . وحسن المعاملة قد يتمثل فى الكلمة الطيبة ، وقد يكون فى الابتسامة يأتى بها المسلم أخاه فيدخل السرور إلى نفسه . والله سبحانه يكافىء المسلم على هذه المعاملة الطيبة فى الآخرة بالإحسان ، كما يكافئه عليها فى الدنيا بأن يجعل الآخرين يلهجون بالثناء على هذا الإنسان الذى يعامل غيره بشكل حسن . يقول الشاعر :

عَامِلِ النَّـاسَ بِرَأْيٍ رَفِيقْ
وَالْقَ مَنْ تَلْقَى بِوَجْهٍ طَلِيقْ
فَإِذَا أَنْتَ جَمِيــلُ الثَّنَــاءِ
وَإِذَا أَنْتَ كَثِيرُ الصَّدِيقْ(٤)

والبيت الأول أخذه الشاعر من الحديث الذى رواه مسلم عن النبى

---

(١) انظر : ضعيف الجامع الصغير ٣ /١٤٥ وقال الألبانى : ضعيف جداً .
(٢) الديوان : ٦١ .
(٣) مسند الإمام أحمد : ٢ / ١٦٥ .
(٤) الديوان : ٢٤٧ .

صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » . والتهادى من أنواع المعاملة الحسنة التى حث عليها الإسلام لأنها تزرع المحبة بين المسلمين ، وتقوى صلات بعضهم ببعض . يقول فى هذا المعنى :

هَـدَايَا النَّاسِ بَعْضِهِمُ لِبَعْضٍ
تُوَلِّدُ فِي قُـلُوبِهِمِ الْوِصَالَا
وَتَزْرَعُ فِي الْقُلُوبِ هَوًى وَوُدًّا
وَتَكْسُوهُمْ إِذَا حَضَرُوا جَمَالَا(١)

والمعنى الذى تحدث عنه الشاعر جاء فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « تهادوا تحابوا »(٢) .

إن المعاملة الحسنة مطلوبة من المسلم فى كل الأوقات ، والإنسان سيجزى بما عمل إن خيراً وإن شراً ، فالخير له أن يعمل الخير ليجزى بمثله يقول أبو العتاهية :

كُلُّ امْرِئٍ فَكَمَا يَدِينُ يُـدَانُ
سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانُ(٣)

ويقول فى موضع آخر :

تُدَانُ يَوْمًـا كَمَا تَـدِينْ
وَيْحَكَ يَا مِسْكِينُ يَا مِسْكِينْ(٤)

وحديث « كما تدين تدان » فيه مقال كثير ، وفى اقتضاء العلم والعمل

---

(١) الديوان : ٩٠٨ .

(٢) انظر : صحيح الجامع الصغير ٣ /٥٦ . وقد رواه أبو يعلى فى سنده عن أبى هريرة .

(٣) الديوان : ٣٧٠ .

(٤) الديوان : ٤٠٨ .

الخطيب البغدادى(١) « عن مالك بن دينار قال : مكتوب فى التوراة : كما تدين تدان ، وكما تزرع تحصد » .(٢)

وهناك موضوعات أخرى تطرق إليها أبو العتاهة مضمناً إياها أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتحدث عن بعض مظاهر خشية الله ، فذكر أن من صفات المسلم الذى يخشى الله أنه يحب فى الله ، ويبغض فى الله ، وهذا هو مقياس علاقة المسلم بغيره من الناس ، فالأهواء الشخصية ، والمصالح المادية ، ليست هى التى تحدد العلاقة بين المسلم وغيره . يقول :

لَنْ يَصْدُقَ اللهُ الْمَحَبَّـةَ عَبْـدُه
إِلَّا أَحَبَّ لَهُ وَمِنْهُ وأَبْغَضَـا(٣)

وقد أخذ الشاعر الشطر الثانى من بيته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه : « لا يحق العبد حق صريح الإيمان ، حتى يحب لله تعالى ، ويبغض لله ، فإذا أحب لله تبارك وتعالى ، وأبغض لله تبارك وتعالى فقد استحق الولاء من الله »(٤) .

ومن علامات خشية الله أن يخشى العبد دعوة المظلوم ، لأنه ليس بينها وبين الله حجاب ، فلا يظلم أحداً ، ولا يعتدى على أحد ، يقول الشاعر :

لِيَخْشَى عَبْـدٌ دَعْـوَةَ الْمَظْلُوم
وَحِكْمَةَ الْحَىِّ بِهَا الْقَيُّومُ(٥)

وقد ورد هذا المعنى فى الحديث المتفق عليه الذى رواه معاذ رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » (٦) .

---

(١) المرجع السابق : ٢١٥

(٢) انظر : المقاصد الحسنة للسخاوى ص ٣٢٥ ، كشف الخفاء ٢ /١٢٦ ، الدرر المنتثرة رقم ٣٢٨ ، ضعيف الجامع الصغير للألبانى ٤ /١٥٩ .

(٣) الديوان : ٢٠٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد ٣ /٤٣٠ .

(٥) الديوان : ٤٥٨ :

(٦) رياض الصالحين ط الألبانى : ١١٣ .

وتحدث الشاعر عن أهوال يوم القيامة ، فذكر أن الناس يغفلون عن هول هذا اليوم العظيم الذى يلجمهم فيه العرق لشدة حرارة الشمس يقول :

مَا أَغْفَلَ النَّاسَ عَنْ يَوْمِ ابْتِعَاثِهِمِ
وَيَوْمِ يُلْجِمُهُمْ فِي الْمَوْقِفِ الْعَرَقُ(١)

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى فقال : « تدنو الشمس من الأرض فيغرق الناس ، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ العجز . ومنهم من يبلغ الخاصرة ، ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ عنقه ، ومنهم من يبلغ وسط فيه ، وأشار بيده فألجمها فاه »(٢) ..

وتحدث أبو العتاهية عن الرياء وعن الشرك فذكر أنه قد يكون خفياً ، وأنه يشبه فى خفائه وعدم ظهوره الذرة الصغيرة التى تمشى فوق الحجر الأملس ، فى الظلام الدامس . ويبدو أن الشاعر يريد أن يحذر الناس من هذا النوع من الشرك الذى قد لا يفطنون له إلا وقد وقعوا فيه . يقول :

وَلَيْسَ دَبِيبُ الذَّرِّ فَوْقَ الصَّفَاةِ فِي الـ
ظَّلَامِ بِأَخْفَى مِنْ رِيَاءٍ وَلَا شِرْكِ(٣)

وتشبيه الشرك فى عدم ظهوره بدبيب النمل ورد فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حذر منه . فعن أبى موسى الأشعرى قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : أيها الناس اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقال له من شاء الله فكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ . قال : قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلم »(٤) .

---

(١) الديوان ص ٥٠ .
(٢) مسند أحمد ٤ /١٥٧ ، ٥ /٢٥٤ .
(٣) الديوان ص ٢٥٨ .
(٤) مسند أحمد ٤ /٤٠٣ .

وتحدث الشاعر عن عظيم قدرة الله ، وأنه قدر كل شىء فى هذه الدنيا وخطه فى اللوح المحفوظ ، فقال :

مَا كُلُّ شَيْءٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ
إِلَّا وَقَدْ جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ
فَالْحَمْـــدُ لِلَّهِ الَّذِى هُوَ دَائِمٌ
أَبَدًا وَلَيْسَ لِمَــا سِوَاهُ دَوَامُ[1]

وقد ورد هذا المعنى فى الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده عن ابن عباس أنه ركب خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوماً فقال له الرسول : « يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ؛ واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف »[2] .

* * *

(١) الديوان ص ٣٥٢ .
(٢) المسند : ١ / ٢٩٣ .

خاتمة

لقد درست فى هذا البحث أثر القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فى شعر أبى العتاهية . وجاءت هذه الدراسة فى خمسة فصول حيث تحدثت فى الفصل الأول عن حياة أبى العتاهية وشعره ، وفى الفصل الثانى عن حركة الزهد فى القرن الثانى وتأثير هذه الحركة على حياة أبى العتاهية وشعره ، وتحدثت فى الفصل الثالث عن اتهامات الكتاب الأقدمين والمحدثين لأبى العتاهية بالزندقة حيث أشرت إلى هذه الأقوال ، وفندتها ، وأوضحت الرأى الذى وصلت إليه فيما يتعلق بهذه التهمة ، وهو أن كل ما نسب إليه من تهم تتعلق بانحرافه عن الدين لا سند لها ، وأثبت بطلان تلك التهم بأدلة من شعره . وجاء الفصل الرابع والخامس من هذا البحث ليرد بالتفصيل على كل التهم التى وجهت لأبى العتاهية ، حيث أوضحت أثر القرآن والحديث على شعر أبى العتاهية ، ومدى تأثره بهذين المصدرين الأساسيين فى الدين الإسلامى وكان تأثره بهما عميقاً جداً حيث أورد كثيراً من الآيات والأحاديث بنصها ضمن أبياته الشعرية ، وفى هذا دليل واضح على عمق إيمانه ، وصحة تقواه .

وأرجو أن تسد هذه الدراسة ثغرة فى تاريخ الأدب العربى ، وحسبى أنى اجتهدت ، وبذلت ما أستطيعه من جهد ، وأسأل الله أن ينفع بهذه الدراسة كل من اطلع عليها ، وأن يؤجرنى على ذلك ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

* * *

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم :

ثانياً : المصادر :

١ – الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى . ط دار الكتب المصرية .

٢ – ابن ماجه : سنن ابن ماجه – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى نشر دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ، سنة ١٣٧٢ هـ .

٣ – تاريخ بغداد : لأبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى . طبع دار الكتاب العربى . بيروت .

٤ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : لأبى نعيم . طبع ونشر دار الكتاب العربى – ط ٢ بيروت سنة ١٣٨٧ هـ .

٥ – الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة . للإمام السيوطى – تحقيق محمد ابن لطفى الصباغ – مطبوعات جامعة الرياض .

٦ – ديوان أبى العتاهية : تحقيق شكرى فيصل – طبع ونشر دار الملاح بدمشق سنة ١٣٨٤ هـ .

٧ – رياض الصالحين : لأبى زكريا يحيى بن شرف النووى . مطبعة الحلبى القاهرة – ط ١ سنة ١٣٨٨ هـ .

٨ – شعر عروة بن أذينة : تحقيق الدكتور يحيى الجبورى . مطبعة التعاونية فى لبنان ونشر مكتبة الأندلس فى بغداد سنة ١٣٩٠ هـ

٩ – الشعر والشعراء : لابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر نشر وطبع دار المعارف بمصر سنة ١٣٨٧ هـ .

١٠ – شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : لأبى الفلاح عبد الحى ابن العماد الحنبلى . نشر دار المسيرة . بيروت .

١١ – صحيح مسلم : للإمام مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . طبعة اسطنبول .

١٢ ــ صحيح الجامع الصغير وزيادته : لمحمد ناصر الدين الألبانى . نشر المكتب الإسلامى بدمشق سنة ١٣٩٢ هـ .
١٣ ــ ضعيف الجامع الصغير وزيادته : لمحمد ناصر الدين الألبانى . المكتب الإسلامى ــ دمشق سنة ١٣٩٢ هـ .
١٤ ــ طبقات الشعراء : لابن المعتز ط ٣ . تحقيق عبد الستار فراج . طبع ونشر دار المعارف بمصر .ــ
١٥ ــ عدة الصابرين : لابن قيم الجوزية . نشر دار الكتب العلمية . بيروت
١٦ ــ الفهرست : لأبى الفرج محمد بن أبى يعقوب بن إسحق . طبع سنة ١٣٩١ هـ فى طهران .
١٧ ــ فتح البارى : لابن حجر العسقلانى . المطبعة السلفية بمصر . سنة ١٣٨٠ هـ
١٨ ــ كتاب الزهد : لأبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى . نشر دار الكتب العلمية ببيروت . طبع سنة ١٣٩٨ هـ .
١٩ ــ كتاب الزهد : لعبد الله بن المبارك المروزى . تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى . نشر دار الكتب العلمية .
٢٠ ــ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس . لأبى إسماعيل بن محمد العجلونى . طبع مكتبة القدسى فى مصر سنة ١٣٥١ هـ .
٢١ ــ المستدرك : للحاكم النيسابورى ــ طبع حيدر أباد الدكن . فى الهند سنة ١٣٣٣ هـ .
٢٢ ــ مناقب الشافعى : للبيهقى ــ تحقيق السيد أحمد صقر ــ طبع دار التراث فى مصر سنة ١٣٩١ هـ .
٢٣ ــ مسند الإمام أحمد . للإمام أحمد بن حنبل الشيبانى . نشر دار صادر والمكتب الإسلامى فى بيروت .
٢٤ ــ المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشهرة على الألسنة للسخاوى . مطبعة دار الأدب العربى فى مصر سنة ١٣٧٥ هـ .

ثالثاً : المـراجع :

١ – اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري – للدكتور محمد مصطفى هدارة – ط ١ . نشر المكتب الإسلامي في بيروت سنة ١٤٠١ هـ .

٢ – أمراء الشعر العربي في العصر العباسي . لأنيس المقدسي . ط ١٧ نشر دار العلم للملايين في بيروت .

٣ – التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق . للدكتور زكي مبارك . نشر دار الجيل – بيروت .

٤ – تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان . نشر وطبع دار المعارف بالقاهرة .

٥ – دراسات في الأدب الإسلامي . لمحمد خلف الله أحمد . لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٤٧ م .

٦ – الصراع بين الموالي والعرب . لمحمد بديع شريف – نشر دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٥٤ م .

٧ – ضحى الإسلام : لأحمد أمين – طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٤ م .

٨ – العصر العباسي الأول : للدكتور شوقي ضيف . ط ٣ نشر وطبع دار المعارف بالقاهرة .

٩ – العصر الإسلامي : للدكتور شوقي ضيف . ط ٤ طبع ونشر دار المعارف بالقاهرة .

* * *

فهرس الكتاب

الصفحة

* * *

رقم الإيداع ٨١/٤٧٤٦

دار النصر للطباعة الإسلامية

١٢ نشاطي - شبرا مصر


دار الإصلاح
للطبع والنشر والتوزيع
السعودية - الدمام